فتحي مهذب

إمرأة الثلج

قصص قصيرة

إمرأة الثلج

مجموعة قصص قصيرة

فتحي مهذب

اهداء الي : ناجية البرمكية

- **الجذع الذي يخادع حواسنا ببدلته السوداوية .**

كل يوم

أتلو تأبينا بايقاع كنسي خالص لهذا الجذع المقهور..

جناز يسوعي تتحول فيه الكلمات الى حبال مستدقة لطيفة

تصل الصلب المتمرئي بأوساع المتعالي حيث الهواء رسول

قطعان ضوء تزرب من أقاصي قوس قزح الروح الى محكمة المطلق بينما ثمة عصافير غريبة تفلت من ظلال أصابعي بسرعة البرق مثل سعاة بريد الغيب واهبة كل شجرة مقطعا لذيذا من مطرزات جنازي اليومي..

تجاورنا شجرة ايروكاريا مثل ملكة أبدية تنفرد بطاقة خلاقة كما لو أنها ينبوع أسطوري مشبع بخضرة طازجة مبطنة صفة الديمومة في نسيج تركيبها الداخلي.

أحيانا نتبادل النظر بمرارة كما لو أننا متحدران من رحم واحد الى درجة الشك في عمق ماهية الآخر..

هل أنا ذاك الجذع المقطوع المهمل المكتظ بعواء الهامش

أم الجذع أناي الحقيقي التي طاله فعل الهشاشة..

أحيانا أحصي عدد الطعنات التي سددها لي الآخرون بفأس السخيمة..

بينما يتناهى الى سمعي صدى متلعثم..

أيها الجذع

هل أنا ظلك المتحرك في ضباب العالم.

هل أنا ذاك الأسير الذي يلعب بذيله السفسطائي

مهرجا الليل والنهار..

أحيانا يمسني أحد المارة اذ تنثال نبراته كحبات الرمال

على مرايا اللاوعي..

كم موجع ملمس هذا الجذع المليئ بالندوب والنتوءات..

هل أنت ذاك الجذع المقطوع

الذي ما عتم يقاوم جنازير الآخرين..

شبه خاتمة.

- **الضرب بالكلمات.**

كان أبي لا يضربنا بالكرباج عند ارتكابنا الهفوات وسقوطنا في فخ الشيطان.

كان يضربنا بالكلمات ضربا مبرحا بعد شحذها وايداعها مسامير حادة مقدودة من معدن الدلالة الجارحة. بينما أمي تقوم بتضميد بقع الكدمات الزرقاء المنتشرة على جلد الروح التي خلفتها لذعة كلماته الحارقة.

كانت عيونه تتكلم بقسوة وتلدغنا كأفعى مجلجلة حين نرتكب حماقة أو جريرة ما.

مات أبي في المهجر .

دهسه كائن ماورائي متوحش يسمى العزلة. ورحلت أمي مع أول عاصفة نسيان.

وهانذا أحاول اسقاط محنتي القديمة على الأشياء.

أحاول ضرب العالم بالكلمات

حتى تستوي الحقيقة على سوقها

أحاول ضرب الخفاش الذي يحلق في بحة صوتها

أطلق سربا من خراطيش الكلمات

لكن لم أوفق الى حد الأن.

أحاول ضرب ذبابة المخيلة بكلمة

طويلة العنق لتهدأ روحي من الدوران الممل لكن لم أفلح.

أحاول ضرب الموت على أليته

الموت الذي خطف كواكب عائلتي

الجميلة.

لم أزل أحاول حد الجنون .

- **الرجل الذي أكل جسده .**

الشمس مسدس عملاق بيد الرب.

رائحة الرصاص تغزو العالم .

الصيف في قريتنا مجنون يتعاطى الماريخوانا ويقذف المارة بالحجارة .

بيت حقير مزعج يقع في أقصى المدينة أ

كان جسد ب مليئا بفهود الشهوة.

عيناه تتدحرجان مثل كرتي نار موقدة باتجاه عضوه الذكري متحسسا هذه الكتلة المنتصبة مثل أفعى المامبا التي إكتشفها باكرا في غابة الجسد الكثيفة.

لم يتجاوز الخامسة عشرة.

لم يصلب عوده بعد لكن أصابته لعنة الجسد المليء بالأسرار والماورائيات.

عاد من المدرسة مثل قطار واعد مزدحم بالفحم الحجري. مختلفا إلى مرحاض البيت الكلاسيكي موصدا الباب وراءه بقوة مفاجئة كما لو أن قطيعا متوحشا من الأشباح يحاول إفتراسه. أخرج آلته العجيبة. أخذ يفرك عضوه تارة برومنسية عذبة وطورا بغلظة وشدة . كان يسحب مخيلته مثل بالونة ويضعها أمام عينيه المتلعثمتين مستحضرا صور البنات الجميلات المكتنزات اللائي

صادفهن في الباص أو في الشارع الطويل .

يده المرتعشة بأصابعها الخمسة تقاتل ثورا هائجا في حلبة الجسد.تتساقط شآبيب أنباضه على قرميد الصمت. صار يعلو ويهبط مثل سفينة مهددة بالغرق.تثغو روحه مثل شاة ضريرة. وحش صغير يتخبط في مرحاض. باحثا عن جرة العسل.

أخيرا إنفجرت قذيفة مروعة ولأول مرة من مدفع الجسد البرونزي. زخات من المني المتخثر مخلفا حريقا من اللذة النادرة. إرتخت أعصابه مثل شفتي عجوز . تحولت ساقاه إلى ساقي لقلق متأهب للطيران.

بينما إحتلت تقاسيم وجهه موجة عارمة من الفرح الذي يضارع سعادة المكتشفين الكبار لأسرار الطبيعة .

لقد فك شيفرة جسده المعقد . إكتشف الحديقة البابلية.

مباهج الطين الخفية. صار يأكل جسده كل يوم يقضم أطرافه مثل سنجاب أحمر .

وبمضي الوقت غير طريقة بحثه وتنقيره عن شعاليل اللذة. إغتدى يجامع صور الحسناوات . يختلي بنفسه بعيدا عن أعين المتطفلين

يرشق عينيه المتعطشتين في تفاصيل تلك الصور الجميلة المستفزة. يخرج عضوه البائس. يعصره بأصابعه الخمسة وما إن يتحول إلى قطعة حديدية بيد حداد ماهر حتى تنفجر بمادة متخثرة وينفتح باب اللذة على مصراعيه. ظل هكذا سنوات قليلة

ثم إكتشف طريقا أقل سريالية لاكتشاف ثمار الجسد. طريقة ملتصقة بالواقع المحسوس.

صار يعدو وراء الدجاج والقطط مثل ثعلب ماكر وكلما إستفرد بقطة شقية ممتلئة الأرداف زرقاء العينين صالحة لعشائه الجنسي يوصد باب حجرته ويفتح المذياع

عاليا ليشتت إنتباه الآخرين.

يشرع في مداعبتها كما لو أنها إمرأة مسحورة يغدق عليها من وجبته الشخصية مقبلا جبهتها المكسوة بشعر أشقر متلامع.

يخرج عضوه بينما خصيتاه تصرخان مثل بطتين مذعورتين.

يحك أستها بدهاء . ولما تصدر إيقاعا غامضا يصفعها لتكف عن الصراخ. ويظل على تلك الحالة بضع دقائق إلى حين انفجار بركان اللذة ثم يفتح النافذة ويرمي القطة المهوشة الشعر لاعنا سلالة القطط وأمها القحبة التي تمارس الجنس مع جميع ذكور القطط.

كبر ب مثل وعل جامح تزوج مرات أربع لم يفلح أبدا في بناء عش عائلي هادئ يسوده الحب ولطف المعاشرة. لازمته تلك العادة لزوم ما لايلزم . صارت جزءا لا يتجزأ من نسيجه الداخلي.

كان يضاجع زوجته بفظاعة وتوحش . يقيد يديها بحبل يضربها ضربا مبرحا بكرباج ثم يدخل قطعة من الجزر في مهبلها. .تظل تصرخ كما لو أن إلاها شريرا سيخطفها إلى عالم مجهول. ولما تقذف قطرات من البول ويغمى عليها يخرج عضوه المنتصب مثل أيام منتصف الشهر في عالمنا العربي البغيض.

يظل يضغط عليه كما لو أنه يضغط على مصباح علاء الدين.

إلى حين هبوط مكوك اللذة من سماء كينونته الوسيعة.

ثم يتمدد بجوار زوجته شبه المحتضرة. هكذا فعل فعلته مع نسائه الأربع.

وهاهو يقشر ما تبقى من أيامه في عزلة موجعة بعد فرار نسائه من جحيمه اليومي المكرور.

بيد أن ب رغم عزلته لم ييأس من التخطيط الذكي لإشباع نوازعه المتوحشة.

كان يعمل حارسا في إحدى المستشفيات. ولم يتفطن أحد إلى رغبته اللجوجة في جلد جثث النساء المتوفيات والإعتداء على حرمات أجسادهن.

أخر الليل يطلق سعالا مخيفا متجها إلى بيت الأموات ليفترس جثة فرت من عالم الكون والفساد إلى سعة الأبدية.

يفتح خزانة الأموات متلذذا برائحة الجثث وأوركسترا الصمت العدمي. يحدق في تفاصيل الجثة التي يخرجها بلهفة شديدة .

إسمها م لم تزل طازجة تحدق في عينيه المغرورقتين بهدوء باذخ كما لو أنهما عينا متصوف وامق. يجرح نهديها النائمين بشيفرة حلاقة يقطع جزءا من لسانها ويخفيه في سترة جيبه.

يدخل سبابته في فرجها مزمجرا

ٱصحي أيتها القحبة واخبريني كم مرة جامعك ثورك الأنيق ثم ينهال عليها صفعا ولطما متوعدا إياها بسمل عينيها وقطع أصابعها العشرة.

يخرج عضوه ويحك شفتيها المطبقتين إلى حين إنفجار مجرة اللذة بين فخذيه الشبيهين بقائمتي ذئب ملعون.

وبحركة هستيرية يعيدها إلى الخزانة شاتما كل نساء العالم.

- **اليربوع الذي سرق عينا آدمية.**

ثلاثون سنة ونيف

كل سنة حزمة من المسامير التي صنعت في ورشة الشيطان..

صار يتقن لغة المرايا المتحولةذات اللغة الزئبقية المشفرة..

لقد شهدت المرآة تحولاته الفيزيولوجية والروحية والعصبية على مر عقود ثلاثة وهذا يعزى الى العدسة اللاصقة التي أساء استعمالها طوال شهرين محدثة ضررا فادحا في عينيه الكستنائيتن المشبعتين بخضرة خفيفة.. مخلفة آثارا جانبية مزمنة..

تعرت شجرة أهدابه وامتلأت حواف عينيه بالقذى الذي ما فتئ يتجدد باستمرار مذهل كما لو أنه خلية سرطانية خبيثة..

لم يجد بدا من اللجوء الى مرآته ليتأمل هذا العراء الذي خلفته العدسة اللعينة ..

عبثا كان يزيل القذى المتجوهر في أطراف عينيه..ليتجدد بعد سويعات..

اختلف الى أمهر الأطباء النطاسيين

في هذا الاختصاص لكن لم يتغير

شيئ .. باءت كل الأدوية بالفشل..

العدسة كانت وراء هروبه من معتقلات الجسد الى جسد شفاف خارق مليئ بالأسرار يسمى مرآة..

وقد تعمقت علاقته الأيقونية الأثيرة بها .. اغتدى كائنا مرآويا مهجوسا بالتحديق في تفاصيل عينيه اللتين صارتا موضع فضول الآخرين ..

كان يتوسل للمرآة أن تحول عينيه الي عيني الاه أسطوري خاليتين من الشوائب والمثالب ليقاوم خفافيش النهار التي تهاجمه حتى في غابة النوم المترامية الأطراف..

صار مولعا بالنظر الى كل شيئ ذي عينين..حتى الذبابة المهملة القميئة كانت مثار تأملاته العميقة..

–لماذا لا أملك نظرا ثاقبا مثلها..

وجناحين مدهشين يساعدانها على استفزاز أرنبة أنف الملك أو لسعة شحمة أذن المومس..

كان يرى استعمال النظارات ضربا من الحوب والمعرة وطفق بصره يغور مثل شمة في النزع الأخير..

كان لسوء استعمال هذه العدسة اللعينة التي غيرت مجرى حياته

وقلبت مفاهيمه رأسا على عقب..

انهالت على عقله طوابير من النيازك الهائلة محدثة تشققات فظيعة لا فكاك له منها..

هل ثمة حفرة عميقة داخل روحه?

كان يردد دائما أن روحه الهرمة كانت فيما مضى تسكن جسد يربوع أعمى لما دهسته شاحنة مجنونة ذات ليلة شتائية مرعبة

انتقلت الى حيز جسده الملعون

لما قذفته أمه مثل غوريلا متعفن في أحد المستشفيات ..

لكن لماذا يراوده احساس كابوسي بأن شيئاما ما عتم يجذبه الى سلالة اليرابيع صار يكره الأماكن العمومية ويأنف من معاشرة البشر

ويختلي في غالب الأحايين في المرحاض ..انه يجد راحة غريبة

داخل هذا المكان الشبيه بقبر متعطن .. يخرج مرآته.. يتأمل عينيه المتآمرتين اللتين دمرتهما

العدسة اللاصقة .. يمضي ردحا من الزمن مثل يربوع ضخم تلاحقه هراوات جحيمية وأشباح

هشة لأموات المذابح الطائفية..

ثم يدس المرآة في جيبه وينصرف

ثلاثون سنة مضت..

–ماذا فعل أطباء العيون ..

–لا شيئ..

لم تفلح وصفاتهم في تقليص هوة

الحزن التي خلفتها هذه العدسة الملعونة..

البائسة أمه نهرته مرارا ليستنكف من هذا الكائن الدخيل في عيني الجميلتين بيد أنه أصر على إيذاءهما بأصابعه التي تشبه مخالب يربوع هجين..

بعد زمن غير قصير اشتد حنينه الى استعمال هذه العدسة الكابوسية فتح عينيه المتهدلتين ثم أدخل هذا الكائن الغريب في حدقتيه ..

أحس بوخز شديد أضطر الى نزعهما بسرعة جنونية لكن هذه المرة لم ينزع العدسة بل قلع عينه

التي سقطت من بين أصابعه مثل

جرم زئبقي شفاف ليلتقطها يربوع

يترصد حركاته بدهاء مفرط متجها نحو المرحاض بسرعة نيزك .

- **أوركسترا ضفادع في بركة هامشية .**

وعد كبير الضفادع كل من صوت له بطحالب غضة وبطاقة علاج مجانية وزورق صغير من الذهب لقضاء عطلة آخر الأسبوع في احدى الجزر الفخمة واعدا اياهم كذلك بتخفيض هام في فاتورة الكهرباء والغاز والماء وطرد شبح البطالة من البركة..

وابرام هدنة طويلة المدى مع الطيور الكواسر..

أقام مدينة فاضلة على رمال مخيلتهم الهشة..

وبعد انتخابه رئيسا شرعيا لهذه الضفادع التي عانت من التهميش

والخصاصة والحرمان..

بعد أشهر قلائل ضم الى حزبه غربانا ملتحية شريرة زادتها المنافي والسجون غلظة في الطباع وحقدا وسخيمة على مجتمع الضفادع البائس..

تغير لون كبير الضفادع واتسعت عيناه الزرقاوان وضحكته المريبة.. وشيئا فشيئا تحول الى تمساح توجهه هذه الغربان الحاقدة الى حيثما تشاء..

نصب المشانق في عرض البركة..

منقلبا على عقبيه متوعدا كل مناهضيه بالويل والثبور..

استفحلت البطالة واللصوصية والأحزاب المتآمرة..

وتفشى الفقر والانتحار والتهميش

والظلم لذلك كلما عبرت ليلا بجوار

البركة يتناهى الى سمعي ايقاع حزين لأوركسترا جنائزية بقيادة فقراء الضفادع مثل عويل أرملة منكوبة في مقبرة .

- **البرباش**

تلعب الشمس بأعصابه كما لو أنها أفاع تتلوى داخل قبو من لحم ودم..

صحراء شاسعة تبطن في أحشائها

نفايات البشر على اختلاف أشكالها..

جحيم مهجور صنعه الانسان المتحضر ليدفن في مطاويه ما انعدم من أشيائه الأثيرة..

رائحة متعطنة جدا تثقب حواس الجن والانس خلعت عليها حرارة الشمس جرعات من سمومها الفلكية..تتماهى المتناقضات ..

هنا لا فرق اطلاقا بين الكلاب الضالة والقطط المخذولة أشباه البشر..

كل يشكل جزءا رماديا من هذه التراجيديا اليومية المكرورة..

هم قمح هذه النفايات التي تطبخه الشمس على أثافي أعصابها المشتعلة..

نساء سمراوات يتدافعن مثل عناكب أسطورية عملاقة بحثا عن

عشبة جلجامش..

رجال بدائيون يرفع أرواحهم المتهدلة منطاد السعال الى أمكنة عميقة مجهولة..

(أ) لم يتجاوز العقدين دهست أبويه جنازير آلة كبيرة جدا عادة ما تمشط مكب النفايات بالطول والعرض..

مخلفين عاصفة مدمرة من الفراغ العائلي..لكن لم يتسلل الى قاع روحه أخطبوط اليأس والعدمية.

ها هو ينقر وينقب مثل غيره من أشباه البشر عن القوارير البلاستيكية المستعملة وبعض الخرداوات لبيعها بأسعار تسعد روحه المتعبة و تقلص جرعات

الشعور بالانهيار الجسدي..

كثبان من النحل البشري يقطع فضاء المكب جيئة وذهابا لاختراع

ضحكة مجلجلة ما ان تقع أعينهم على شيئ ذي بال..

يطلق عقيرته (ب) : لقد عثرت على خلخال ذهبي قديم..

قال (ع) : انه خلخال عليسة فقدته في هذا المكان قبل أن تعمل النار في جسدها في حربها

الخاسرة مع الرومان الأشاوس..

زاد هذا الصراخ من حماس (ن)

لم يأل جهدا في البحث وعلى غرة عثر عل قطعة غامضة ملفوفة في قماش حريري مذهب..

تجمد مثل حية في غلواء الصحراء مخاطبا ذاته بصوت خفيض: يبدو هذا كنزا نفيسا كاتما سره سرعان ما حمل بعض القوارير الفارغة وقطع الخرداوات التي ظفر بها في رحلة الصيد والبحث عن فرائس معدنية في مكب النفايات..

وضع كل هذه الأشياء الثمينة وراء دراجته الصدئة التي تزعق مثل قرد أحمر في غابة مطرية..

انها دراجة مثيرة للغثيان تخلى عنها الشيصبان منذ الأزل..

وما ان بلغ بيته الشبيه بكهف غوريلا خال من أبسط مقومات الحياة حتى أفرغ تلك الحمولة واختلف الى دورة المياه لقضاء حاجة بيولوجية ملحة..

بيد أن صراخا متقطعا يصاعد من حجرته المظلمة لم يكمل حاجته وراح يفتش في حجرته عن مصدر هذا الصوت الغريب..

قلب أثاث الحجرة المهترئة رأسا على عقب..

أخذ يتعالى هذا الصوت المتقطع مرة ثانية..

اتجه الى حمولته ذات الرائحة المقززة التي ركنها في أقصى حجرته..

فتح تلك القطعة الغامضة الملفوفة في قماش لافت للنظر اذ برضيع ملطخ بقطرات دم جاف استعاد وعيه وراح يصيح بأعلى صوت .

البرباش كلمة عامية تونسية تعني النبش والبحث في مكب النفايات.

- **امرأة الثلج**

كلما تساقطت الثلوج سارع الأرمل الى جمع قوالب ذات نتواءت وأشكال بدائية ثم يشرع في نحت تمثال على هيأة زوجته الراحلة..

يتفنن في تشذيب ملامح وجهها كما لو أن روح فان غوغ قد حلت داخل جسده المنذور للفجيعة والنسيان.. ينظر اليها نظرة الأرض المتشوفة الى ساعي بريد المطر بعد جفوة عميقة وفي قلبه تشتعل جمره النوستالجيا..

يصعد سلم الهذيان الخشبي بمخيلة جريحة وقدمين يسوعيتين نالت منهما الكدمات والتشققات يسر اليها بايقاع قس في مأتم ملكي ساردا لها ما اعتوره من نيازك يتم وزلازل فقد وشدائد

لا يتحملها آدمي..

في تلك السنوات العجاف ..

سنوات سبع تبدو كزمرة من السعادين الراقصة على حبل المتناقضات..

أطفالك صعدوا مثل شلال من الكلمات المنكسرة الى عتمة الهامش..

قبعتك السوداء المعلقة على مشجب مكسو بطبقة شفيفة من الغبار..

صارت ملجأ آمنا لعصابة من العناكب المفترسة..

معطفك الجلدي الفخم استحال تابوتا ترقد داخله جثة عيد ميلادك الأخير..

جزمتك المائلة الى دكنة خفيفة استولت عليه جنية شقراء غالبا ما يصدر طقطقة تشبه ايقاع راقصة الباليه..

النوافذ تتدلى ستائرها المتهدلة مثل ألسنة شياطين نافقة..

سريرك الخشبي الضرير ينثر عواءه

الليلي تحت الوسادة المتكهربة..

الخزانة مثل فقمة تبادلني تهمة الفراغ الهائل..

الباب تطرطق مفاصله مثل صندوق الموتي على عربة في منحدر عدمي.

ظل الأرمل يطارد غزالة مخيلته المذعورة بأصابع مصطفقة ماسحا

دموع زوجته المتبجسة من عينيها الثلجيتين محاولة السير على قدميها الشفافتين ولكن لم تفلح..

عبثا تحاول أن ترسم ابتسامة حلوة على شفتيها الناعمتين الباردتين اللتين تعجان بالتخاريم

وعلائم العجز الوجودي..

تفر قطعان الغيوم كأطفال يترسمون خطى قوس قزح في مرتفعات الفرح الطفولي البكر..

تندلع جمرات شديدة الحمرة من مدفأة الشمس..

تشرع امرأة الثلج –منحوتة الأرمل

المقدودة من قوالب الثلج على ضوء مخيلة أسيانة هشة– في الذوبان ..

تتحول بدراماتيكية موجعة الى بركة دموع صغيرة مندفعة باتجاه مجرى الماء الوسيع..

بدت تطفو صورة زوجته الفقيدة

على سطح المحسوسات الغائمة آخذة في الذبول الفيزيقي والانديا ح التدريجي ..

منتقلة من أسيقة الوجود بالفعل الى مرتبة الوجود بالقوة ..

ها هي تتحول الى وهم يعشش في عمائق مخيلته الجريحة والمثقلة بالكوابيس والأهوال..

طفق الأرمل ينكمش مثل دودة القز في شرنقة اللامعقول منتظرا

مجيئ قطار مزدحم بقطع الثلج القطبية ليصنع قافلة من النساء الجميلات .. لملء فراغات عزلته اليومية الفظيعة بحضورهن وجمالهن الباذخ

- **طعنتان في المكان ذاته .**

السماء شبه منحنية مزدحمة بقطعان من الغيوم المتدافعة نحو المقبرة.. الريح عدوانية جدا مسلحة بكرابيج قدت من جلود التماسيح المسنة ما عتمت تجلد قطان الأرض بقساوة مفرطة.

غراب غريب يختلس عيني خالتي

المحدودبة كما لو أنها تبحث عن أيام طفولتها الأولى..

غراب نادر يتلو جنازا قروسطيا أعلى شجرة الصفصاف شبه المظلمة،،عينا خالتي الضيقتان مسمرتان مدقوقتان في تفاصيل هذا الغراب الطاعن في تغريبته العدمية..

المقبرة مسرح أبدي ممتلئ بخيرة الممثلين الذين آثروا منطق الصمت لغة عميقة جامعة مانعة..

قالت خالتي وهي قاب زفرتين من التبخر الكلي : كم يبعد قبر أمك يابن أختي?

–مسافة غيمتين من التفكير في علةالموت ومصير الأموات..

كان فمها الأدرد مثل كهف صغير

مكتظا بالأشباح ومشيتها مثل فقمة عضها قرش أرمل من ذيلها

المعقوف..

نحن باتجاه قبر أمي الرابض مثل ذراع مقطوعة في حرب عبثية.

سبقتني عيناي المرفرفتان الى الجلوس على هامش الشاهدة المائل لونها الى رماد داكن ..

وعلى غرة اعترضت سبيلنا عربة أموات قديمة .. ناداني سائقها بايقاع متسول لجوج..

– سأجتزأ دقائق من نسيج وقتك الثمين أستاذ،،

–على الرحب والسعة

فتح باب العربة القديمة المتهالكة

برفقة رجل تتطاير رائحة الجثث من عينيه العميقتين كما لو أنهما حفرتان لدفن ذكريات الموتى ..

سحبنا الجثة الملفوفة في قماش

أبيض يعج بالتخاريم..

جثة متفحمة ملطخة بالدم والرماد

والثقوب تنبعث من تضاعيفها رائحة تسبب الغثيان والقيئ والبحران كما لو أنها جثة هذا الواقع العربي الزنخ..

جلبها سائق عربات الأموات مباشرة من مستشفى الحروق والاصابات البليغة ..

لم تكفن ولم تبكها عين واحدة ولو عين سحلية متقوقعة سوى عيني أمها المتداعية مثل جدار منزلي مهجور..لاصلاة جنازة ولا تأبين ولا مجلس عزاء ..

دفنا الجثة أنا والقبار وسائق عربة الأموات بينما أمها العجوز تدلق كلمات في الهواء ساخنة مهشمة الأطراف والزوايا..

– لقد ذهبت ابنتي ضحية ظلم زوجها المقامر العربيد الذي ما فتئ يوسعها ضربا وشتما وركلا كلما هاجمه ذئب الفراغ والقلق اللامبرر في ظل دعم عائلته اللامشروط لسلوكه المشين..

عزيتها أنا وظلي الهادئ مثل قس

داخل كاتدرائية مهجورة بينما خالتي المسنة في انتظاري أعلى الربوة مثل شبح يتكئ على خيط وهم..

بعد أشهر قلائل عدت الى المكان نفسه –ولكن هذه المرة دون مصاحبة خالتي العجوز – لدفن زوجتي التي أعملت النار في جسدها ولم يشهد جنازتها غير كلب هادئ يشبه كلب شوبنهاور في مشيته الحكيمة وثلة من الأطفال و المتسولين .

- **الوحش**

بيت يشبه قلعة مهيبة مهجورة يتكئ على صدر تلة مسيجة بأشجار الكاليبتوس

الكثيفة خالعة على الفضاء الداخلي لصحن البيت الوسيع دكنة غامقة إلى درجة تخيله لوحة سريالة مثيرة للرعب لطخها فنان

بهستيرية مفرطة..لوحة رمادية معلقة مثل قلادة من عظام الموتى على صدر التلة الموحشة..

ورث هذا القلعة الصغيرة المشبعة بروح قروسطية مذهلة عن أبيه المشهور بتجارة المخدرات حيث كان الوارث الشرعي الوحيد لهذه التحفة الفنية الموغلة في سوداويتها المقرفة ..

كان(ش) كلفا حد الهوس بتربية الحيوانات الغريبة .. الأفاعي السحالى.. الذئاب..

الكلاب الضخمة المدججة بأنياب فظيعة..

يبدو مظهره مثل قس هادئا غارقا في نهر عميق من التأملات ولكن في الحقيقة هو على نقيض ذلك ..

إنه كائن شهواني عدائي سفاك..

مبشر بايقاع القتل المجاني..

مكتظ بضروب الحيل والشرانق ..

إنه عنكبوت سام وضخم يتخفى وراء قناع ملاك بريئ..إختلف (ش) كعادته إلى الملهى الليلي ليراقص الحسناوات الرشيقات يغريهن بالأموال وبابتسامة قس مزيف ..

يرمي شبكته السحرية التي حبك خيوطها من معدن ذئبيته الماكرة ويظل منتظرا فريسته بروح عنكبوت لا يمل الانتظار.. المهم أن يحصل على فريسة مشتهاة..

ليسكت نواقيس شبقه الداخلى الفوار..

هاهو يستفرد بقنيصة خلاسية

مشبوبة الملامح تتقطر عسلا وشهوة ..

ساقها مثل شاة عمياء امتطت سيارته الشبيهة بعربة الأموات الموسرين..تبادلا النظر بصوفية مرهفة.. أطلق ضحكة مدوية مثل قذيفة هائلة لم تقف على ما تبطنه من عواقب..سرد لها قصصا رائقة

عن الحمامة التي افترست صغارها

أفعى قرمة اندست إلى عشها في غيابها القسري بحثا عن الطعام لصغارها وكيف انتصر الطائر الكسير على الأفعى المتسلطة إذ فقأت عينيها بمنقارها فاندفعت من أعلى الشجرة إلى أسفل لتلتقطها هوام تجوب المكان بسرية مطلقة..

انه مبدأ الافتراس الحتمي .. العالم يفترس بعضه بعضا .. أحيانا تفترس الأشياء ذاتها بعذوبة باذخة..لقد خلقنا لنفترس ونفترس..

انها لعبة قذرة ولكنهالا تعدو أن تكون ضربا من الاقتضاء والضرورة..هكذا خلقتنا الآلهة لنكون قرابين لبعضنا البعض...

–قالت ببحة تتقطر طلاوة :

أنت فيلسوف يفسر الحقائق مشفوعة بسيل من البراهين الساطعة..

–قال معقبا: كل ما نفسره قابل للدحض والتفنيد..

ليس ثمة شي ثابت قطعي..

مثل النظريات التي تنقض بعضها البعض..

التهمت لسانها دفعة واحدة مثلما تلتهم الأفعى جرذا جموحا..

وغابت في أعماق غابة من التفكير

المليئة بقمح مجازاته واستدلالاته.

أهدى اليها أساور ذهبية سحبها من جيبه الأيمن..

إطمأنت قليلا وزالت رهبتها الغامضة بينما السيارة تطوي المكان بجنون وسط طبقة كثيفة

من العتمة ..

قالت: ما أروع قصصك الآسرة التي نفذت الى عمق روحي .. أنت بارع في سرد الحكايا..

رد باقتضاب : الحياة حكاية ضخمة ونحن الأشباح التي تملأ صفحات كتابها الأبدي..

قالت : جميل هذا.

قال : العفو أيتها الوليمة المقدسة..

لم تعي جيدا مغزى حديثه مسدلة زفرة عميقة على المكان كما لو أنها توجست شرا..

طمأنها مداعبا أرنبة أنفها بأصابعه

المشبعة برائحة القتلى..وبعد ربع ساعة ونيف تقريبا وصل الى قلعته المخيفة .. أطفأ محرك السيارة .. أمسكها من يدها اليسرى مترنما بأغنية ذات ايقاع دموي..

بصوت خفيض جدا..

أيها البيت الملعون

الخالي من ضوء الضمير

الذي تسكنه ملايين الأشباح

في الدهاليز السفلية

مثل شياطين تمارس لعبة الغميضة..

أيتها القلعة المكتظة بأرواح الأسرى النائمين على سرر الفجيعة

أيتها اللعنات الأبدية

أيتها الضفادع المخيفة

التي تغطس في حوض الشيطان

التي تأكل لحم القطط الساخن..

هانذا جلبت وليمة

لابنك الذي تدهسه العزلة في غيابات القاع..

وليمة لاسكات زئير الفراغ

أيتها السكين

كوني مهذبة أثناء الصلاة

وتقطيع الأطراف..

هذه وليمة لسكان القلعة المخفيين

نظر اليها نظرة نسر كاسر

وفجأة استل سكينه المقدس طاعنا فريسته طعنات متلاحقة في أماكن حساسة من جسدها المستسلم لقدره البائس..

جر جثتها مثلما تجر كلاب الاسكيمو زلاجة ثقيلة..

انتهى به المطاف الى المغسلة..

جلس على قائمتيه مثل وحش أسطوري .. أزال بعض البقع الدموية المتحجرة .. وبحركة عدائية استأصل عينيها الزرقاوين المغرورقتين بالدموع ثم ابتلعهما

مثل حبتي لوز..

حدق في وجهها مثل عقاب يتجسس على حال فريسته الهشة

صاح مولولا بلهجة خفاش غامضة

استيقظي الآن يا أميرتي..

لنرقص رقصة الأموات الأخيرة..

رقصة الفأس في تضاعيف الشجرة المتغطرسة..

رقصة فارغة من طعم المعنى..

رقصة يتحرر فيها الجسد من قبضة الأمكنة المتعفنة..

طوقها بذراعيه بقوة قرش محدب

وأخذ يرقص.. فمه ملطخ بالدم..

يزرب دخان أسود من محجريها المثيرين للذعر..

سقط أرضا مثل سلحفاة عرجاء..

الآن أتممت طقوس رقصتي الوثنية على مسرح هذه الخلوة الفريدة..

أنا مروع الشياطين

وحارس الجحيم الهلامي..

صوتي هراوة قدت من عظام المردة..

أخذ سكينا تلمع مثل ضوء قنديل في عتمة المقابر..

قطع رأسها .. دق حزمة من المسامير في فروة رأسها صائحا

ليغفر لك الرب ما اقترفت من آثام

أيتها المومس.

أنا النهر الملكي الذي يتدفق في

غابة الجنون الخلاق..

يا لها من حفلة شواء رائعة..

أيها المردة أيها الجن أيتها الأبالسة تعالوا .. اهبطوا من سرايا الغيب ..

هذا عشاء مقدس لم يك بد من الحضور ومقاسمتي لحم هذا الضأن الطازج..

سأحتفي بكافة الأشباح الملعونة التي تسكن بيتي الرجيم..

أيتها الكائنات السريةالحارسة لفخامتي من عضة الذئاب البشرية..البشر القذرين الذين هم في مسيس الحاجة الى

صلاة سكيني الرحيمة..

أنا دخان متشظ يقبع داخل كومة من اللحم القذر..

أكره البشر الذين دمروني ودمروا قرية الله الجميلة..

سحقا لشيئ يسمى انسانا..

هذا الذي الذي امتص جمال روحي مثل حبة فراولو..

اندلعت معركة وحشية بين قططه وكلابه الشرسة التي كانت تقاسمه

الحياة بمجرد تسلل رائحة الشواء

الى مسامات أنوفها..

تساقت الكؤوس الفاخرة من أعلى الرف المصنوع من الأبنوس..وتهشمت الأواني واحتل المكان ذعر شديد ..

احتسى كميات من دم ضحيته معمدا وجهه وأطرافه صائحا لتنزل بركة الرب..

فر طائر غريب يشبه الى حد بعيد طائر غرغر من أعلى تلة رأسه..

نادته خزانة صغيرة محشوة بجماجم ضحاياه

كف عن الضجيج أيها الحقير شاتمة أصله وفصله والسلالة التي تحدر من منابتها..

رد عليها بكل برودة دم وبلهجة فيها ما فيها من العنجهية

سأكسر عظامك أيتها البائسة العطنة..

سقطت الساعة الحائطية محدثة قرقعة فتحت النافذة وفرت خارج أسيقة الزمن..والتقاويم..

ثارت الملاعق الخشبية ..كان لثورتها واحتجاجها وقع كبير في صحن القلعة الرمادية ..

فقد الكرسي الذي يجلس عليه حاسة اللمس ظل يعوي مثل كلب خرافي..بينما الريح تطرق باب القلعة الكبير كما لو أنها رجال شرطة بيد أنه لم يزل غير آبه بهذه

الاحتجاجات داخل بيته الرهيب..

مزمجرا مخاطبا الريح بعدوانية

انتظريني قليلا

سأفتح الباب وأمسك جدائلك وأمزق لسانك المتطاول.

وبينما هو كذلك في نشوته الدموية الباذخة اذ هطل مطر شديد لم يسبق له مثيل..

حمله الطوفان الى قاع الجحيم لينال جزاءه الحتمي مثل حشرة

قميئة تعشش في غابة المتناقضات .

- **عذابات(إرميا) المهذب.**

الزمان والمكان يتقاسمان رغيفا واحدا مبقعا بطعم اللامعنى واللاجدوى.كل يستوحي هشاشه جوهره من صلب الأخر :

القمر شبه كفيف تحمله الغيوم كأسير حرب داخل عربات قاتمة سوداوية. الليل باسط ذراعيه داخل المنزل المتداعي. كرسي متحرك نكلت بأطرافه طبقات من الصدأ الصفيق .هذا مكانها الأثير حيث يعشش الفراغ.

يطوقها بيده اليمنى أي بيد واحدة لأن اليسرى شبه مشلولة متصلبة(كائن غريب متشبث بشجرة الحياة).

يضعها على ذاك الكرسي هذه المضروبة بداء الفالح كما

لو أنها قوقعة فارغة من العصر الجليدي أو قطعة أثاث منزلي معطوبة وبين الحين والأخرى يصدر هذا الكرسي صوتا أو أنينا مبحوحا كما لو أنه صفير عظام ضربها النقرس.

الجسر الوحيد الذي يصل بين هذين الكائنين المتخمين

بوطأة الصلب المتمرئي والكوابيس الجاثمة بكلكلها على بلاطة صدرهما هو لغة الإشارة ومصدرها العينان.تتطاير الكلمات من عينيها الجميلتين : أحبك يا ولدي.. ليباركك الرب والقديسون.

لا تقلق انها طفرة عابرة ، قفزة في الجحيم . تلك إحدى أساسات الشرط الإنساني الفاجع.

يبادلها الشعور ذاته. أحيانا يعتوره احساس حاد بأنه ليس ذاك الذي يحدد ماهية ذاته بدقة متناهية. انه شبحه المتجمد في هيأته القديمة حل في أصقاعه ليزاول

احتساء كاس الشوكران بشكل منتظم.

أنت ميت كلاسيكي ضارب في القدامة..نبرات تنهال عليه من جهة غير محددة ومعلومة.

يحاول طرد هذه الهواجس والزيزان العدمية الملعونة، والحشرات غير المرئية التي ما فتئت تلسع وعيه الجريح.

أنت لست وهما أو عمود إنارة معطوب في مقبرة مهجورة.

أنت في قمة جبل الفقد داخل كهف الموت مهمتك انجاز

حفر عميقة في النوم واهدائها الى قبار متوهج الخضرة.

موت لا ينتهي ممتد في الزمكان .

هذه أمك التي فشل الموت في تهريبها إلى أرخبيلاته المترامية. لعنة متوارثة. كائن زئبقي ليس من السهل الظفر بسلاله الضوئية وأسره في قفص الغياب.

من المحسوس الى اللامحسوس تتخبط أجنحة الموت أمام هذه الإرادة الصخرية الأسطورية. موت يتجدد في كل مرة معلولا بالبطلان. يتغذى بروافد المتناقضات.

تحلق طيور الرموز والإشارات على حافة عينيها. يبدو متشظي الدلالة وجهها الرسولي.

قد تموت يوما ما فيزيقيا وتبقى روحها العظيمة تلاحقك

وتنيخ بكلكلها على وعيك الجريح.وتظل تناجيك تلك

الرهينة التي يلتذ الموت بايذائها وتدميرها حد التبخر.

قطط عبثية تتداول على إيقاع تراجيدي. تفتض بكارة الصمت الذي يشبه الى حد بعيد لجة من الضوء والظلمة المتجادلين يسبح في أعماقها قرش المخيلة.

تتصارع القطط والأفكار المجنحة المتوثبة .. حرب شوارع دامية للغاية.

تنظر ناجية إلى هذه الأقزام المتورطة في تهشيم زجاج الوعي بهشاشة الأشياء وقضم ذيل الفراغ العائلي الطويل كذيل سعدان.

تشير بعينيها حذار من مخالب هذه القطط المدلهمة..

هذه القطط الشهوانية التي تتجاهل سطوة الموت وجلاوزته. يلتقط مكنسة يعدو أثرها كما لو أنه يعدو وراء شياطين مسبوكة من معدن هلامي صرف.

تطلق عيناها ابتسامة حلوة يتقرى أبعادها بألة الحدس المتشففة.

كان يردد دائما ما أقوى وأعظم هذه المرأة التي تحدت الموت مرارا برغم استحالتها الى قطعة ميكانيكية معطوبة لم يقدر الموت على قتلها وهضمها كفريسة على حافة نهر.

كانت ضد الموت مع الحياة . تقول عيناها لم يك بد من مقارعة الموت والسخرية من مشيته المتلعثمة.

لا تستسلم بسهولة يا ولدي. ذره ينبش كقرد متعفن في عزلته. واصل جريانك كساقية من الضوء.حافظ على متناقضاتك.

صرنا نرفض الموت ونقاومه برغم ضرباته الموجعة.

- **العائد من جبل الموت**

طردته (أ) مثل ذبابة قميئة تثير القرف والغثيان وتستفز الأصابع المتشنجة لسحلها واستئصال شأفتها ..

لم تعد ترغب في النظر الى وجهه الشبيه بكهف مليئ بالسحالي والعظايا..

لم يعد ذا جدوى .. ذا معنى .ذا نكهة آدمية..فقد ما تبقى من رصاصات الفحولة في جعبة ذكورته..اغتالته عنقاء الحاجة ودهسه دب المرض الوبيل..

تصيح(أ) بلهجة مغلفة بغلالة البراقماتيزم : أنت كابوس ليلي فظيع سقط من مخيلة هلامية على فروة رأسي..لعنة تلاحقني الى الأبد..

ثم دفعته بكل ما أوتيت من جنون وحيوانية صفيقة خارج البيت..

لقد عاشت في ظل سلطته أميرة

ترفل في الحرير والذهب..

تسكن فيلا فاخرة اقتاتت من لحمه ودمه وأعصابه حتى استوت على سوقها..

لم يأل جهدا في اسعادها ومقاسمتها أحلى لحظات الحياة..

وهاهي بعد مرضه لفظته مثل قطعة أثاث غير مرغوب فيها ثم فتحت هذا البيت الفاخر ماخورا تختلف اليه فئة من صائدي اللذة ومستهلكي الحشيش..

البائس(ب) قطعت رجله اليمنى

اثر حادث مرور رهيب..

وانكفأت عينه اليسرى على ذاتها

غار ألقها وامحت معالم بهجتها

وجمالها صارت عبئا لا يطاق..

عضو ميت تسكنه ظلمة أبدية..

لم يعد بمقدوره مزاولة أي عمل لتأصيل ذاته وفرض صوته في عالم لا يعترف بالضعفاء..

غزته عشيرة وثنية متوحشة من

الأمراض المزمنة والتي تهدده باقامة مطولة في عالم البرزخ..

استنكف منه ذوو القربى وتحاشاه القريب والبعيد..

اغتدى يتسول في الشوارع المترامة المزدحمة بالأناسي..

الساق اليتيمة التي يجرها مثل قطعة من الخشب اليابس مهددة بالبتر..

ومن خلال عدسة واحدة ينظر الى العالم ويمتص ما بقي من ضوء المسافات..وعلى صدره تخيم بناية هرمة من الهواجس السوداوية.. صار يتنفس ببطء شديد كما لو أن وحشا عصابيا غرز فكيه في عنقه الهش..

كم تمنى لو كانت له غلاصم سمكة ليتنفس ويتلاشى ضغط هذه الحجارة الكبيرة الملقاة على صدره من أعلى جبل العذاب اليومي..

نواقيس كاتدرائية تقصف شحمة أذنيه المتهدلتين..

أحيانا يشعر بانعدام نصفه الأسفل..باختفاء جذعه الهزيل..

حالة عصبية غامضة تنتابه من حين الى آخر..

كان أمام محطة الحافلات يستجدي المارة مستندا الى عصا

تعج بالنتواءت..

فجأة استحال وجهه المائل الى صفرة فاقعة الى قرية صغيرة ملآى بالأشباح.

عيناه تجمدتا مثل عيني منحوتة اغريقية ضاربة في القدامة..ارتمى على الأرض كتلة من الخشب المتداعي مبتوت الصلة بجوهر هذا العالم الحي..

انهال مطر غزير من الناس حواليه.

سحبت بنت خلاسية قارورة عطر ..رشت دارة وجهه المبعثر مثل قطع من زجاج الغياب المهشم

أراقت إمرأة في العقد الخامس من عمرها تقريبا ماء باردا غلى جبينه

قال أحدهم : أطلبوا الاسعاف..

قال ثان : أوقفوا سيارة أجرة حالا..

قال شيخ طاعن في العتمة : ذروه

انه قاب زفرتين من الله..

انه يحتضر.. انه يحتضر..

طوقت هذه الجثة الساكنة غابة كثيفة من الوجوه الحائرة..

طفق طائر الوعي يحلق ببطء فوق عش رأسه..

وبحركة بطيئة للغاية شرع شباك عينيه المفتوحتين على عوالم لا مرئية..

أخذ لون وجهه يحمر تدريجيا..

لقد فر لص الموت الى جهة غامضة..

ونجت الجثة من مخالب القبار..

طفق يتحرك بهوادة راشقا تلك الغيمة البشرية التي تحلق بجواره

بنظرة مكتظة بالشكر والمديح..

انها نوبة عصبية حادة..

استوى على سوق وعيه كلية..

تحامل على نفسه..

عاد نصفه الأسفل الى جسده آليا مثل شاة جامحة..

واختفى فجأة في مطاوي هذه السحابة البشرية التي تنتظر الحافلة منذ قرون .

- **قتلت أمي .**

حلقوا شعر رأسها المليئ بالكدمات .. أدخلوها إلى غرفة العمليات مثل كائن هلامي على حمالة متحركة..

يتجاذبها قطبان متضادان الضوء والعتمة..

يلاحقها ذئاب المحو بمخالب حادة جدا..عيناها مصوبتان إلى عيني الملطختين بحبر غيمة كثيفة من

الهذيان..

تقول عيناها : يبدو أن العدم أقوى جنودا وعتادا من معسكر الحياة..

إعتن بنفسك جيدا أيها البوهيمي.

إختلفت إلى غرفتها صباح اليوم التالي لم تزل مخدرة حتى أقاصي الروح..شيئا فشيئا طفق الضوء يتبرعم في عينيها..

إن جراحة الرأس محفوفة بالمزالق والمخاطر والعقبات الكأداء..

لكن عينيها المتهدلتين هما وحدهما اللتان تتكلمان ببلاغة وصمت عميقين..

لن أنجو هذه المرة بسهولة..

كنت أسقيها حليبا طازجا معتقدا أن له أثرا كبيرا في رفدها بضرب من التغذية السريعة الفاعلة بينما

هذه المادة الملعونة لم تذهب إلى مستقر معدتها كم كان يخيل إلي..

بل غيرت مجراها إلى قصبة التنفس وعلى غرة إختنقت(ن)

فيما عيناها ظلتا مرشوقتين في معدن اللاشيئ كعيني تمثال قد من البرونز الخالص..

رأيت حمامة بيضاء جميلة تزرب من ذؤابة رأسها مثل طيف ..

بينما صعدت روحي مهرولة إلى قاعة المحاكمات داخل قصر العدالة في ضاحية ضميري الملعون..

لقد قتلت أمي على وجه الخطأ..

أنا مجرم أبله يستأهل الموت بطريقة قتل الرومان للأسرى المتورطين .

مثل غيمة حزينة ظللت منتظرا

صدور الحكم..

تعلن محكمة الضمير بإلقائك طعاما مستساغا لوحوش رومانية قرمة..

تبخرت مثل جمرة في النزع الأخير..

أذكر أن خفافيش صدى هاجتمني من جهة الرأس بطريقة شاقولية..

حقا أنت مجرم..

قوضت كل ما قام به الأطباء لطرد شبح الموت من عقر جسدها الناحل..

ستظل ملعونا مدحورا إلى أبد الآبدين .

- **المومياء**

غالبا ما يجد خفافيش نافقة على مكتبه الصغير بعيون بلورية ناصعة وأنوف صغيرة حمراء وأجنحة مفرودة كما لو أن لها رغبة جامحة في الطيران وشن غارات شرسة.

يفرك أصابعه محدقا إلى أعلى.

النوافذ عادة موصدة في الليل.

والباب مستيظ مثل حارس فرعوني طوال الليل.

إذن ما سر هذه الخفافيش الميتة؟.

سأل(ن) (ك) وهي ممددة على سرير خشبي مثل أفعى المامبا.

من أتى بهذه الخفافيش القذرة؟.

من وضعها على مكتبي الصغير؟.

ليلة أمس نمت متأخرا جدا.

قالت(ك): لعل لقراءتك المكثفة لكتاب الأموات أثرا في سقوط هذه الخفافيش النافقة.

– بينما كنت منهمكا تقرأ هذا الكتاب الملعون مبتوت السبب بأحياز العالم الخارجي رأيت ناسا صغارا جدا يحملون جرارا مليئة بالنبيذ يقفزون مثل مثل مراكب ضائعة في المحيط.

وآخرين يقرعون صناجات بخفة ورشاقة.

رأيت مومياء متجهمة تقلم أظافرها

وتنعم النظر في لوحة الخشخاش لفان غوغ فاغرة الفم

مترامية الدهشة.

رأيت أغصانا ملتوية تزرب من كتفيك. شحذت بصري جيدا لاستغوار الحقيقة.

تحولت إلى شجرة مترامية الأغصان ثم انفرط سرب من الخفافيش النافقة من ذؤابة هذه الشجرة المدهشة.

حاولت الوقوف على قدمي لألقي كتاب الأموات من النافذة لتفترسه الأشباح الجائعة لكن خانتني ساقاي اللتان تحولتا إلى قطعتين من الرخام الخالص.

رأسي مدقوقة بمسامير إلى السرير.

عيناي فقط تلتهمان محتويات هذا المشهد المزعج الذي لا يتكرر أبدا.

حاولت الصراخ ولكن عبثا لم أفلح . لساني معقود. قلبي يغمغم مثل هر مهدد بالزوال.

كنت أشاهد جسدك يرفع بكل سلاسة إلى أعلى وتمحي معالم الشجرة التي تلبستك منذ حين.

حملوك في صحن طائر إلى عوالم ألف ليلة وليلة لتسرد قصتك العجيبة على شهرزاد.

ثم صكت أذني المتعبتين قرقعة

غريبة. إنه جسدك الذي سقط مثل جذع شجرة مسحورة.

قال (ن) لماذا كلما أقرأ كتاب الأموات تتلبسني حالات شتى؟

قالت: (ك)إنه كتاب ملعون.

منذ إبتياعه وتصفحه تغيرت أشياء كثيرة في حياتنا.

إحترق بيتنا مرتين. فرت قطتنا الجميلة المدللة إلى أمكنة غير معلومة .

ضرب المدينة زلزال مروع.

وغار الجراد على البساتين والسهول والمرتفعات..

قالت (ك) إن مومياء قذرة متجمدة حاولت خنقي بمخالبها الطويلة والإستفراد بك كما لو أنك كنز ثمين من كنوز توت عنخ أمون.

– أرجوك يا (ن) تخلص من كتاب الأموات ودع حياتنا تجري مثل الينابيع الصافية بمنأى عن كل المنغصات الفرعونية القديمة.

– لا يهم إن كان موتنا عبثيا معلولا بنهايات درامية موجعة للغاية

أو موت هادىء على سرير متواضع.

– نحن سنموت أي سنختفي في مكان ما من هذا العالم.

لذلك لا يزعجني جدا هذا الغول الذي يسمونه موتا بقدر ما يزعجني كتاب الأموات الملعون الذى منذ إقتحامه بيتنا قلب الأشياء وعمق كوابيسنا وقلقنا وجنونا.

دعنا نمت ببساطة الرعاة دون تعقيد وإشكال فلسفي ملغز.

- **الشجرة التي تقود دراجة هوائية في الليل .**

الى روح كل شهيد فلسطيني .

بعد موت ابنها مخنوقا بمخالب جندي صهيوني قذر لم تجد بدا من الفرار الى الغابة المجاورة..ها هي تبكي بمرارة وتقاسمها الأشجار الحزينة عويلا جماعيا موجعا بينما العصافير تترجم هذه الأنات العميقة الى جناز كنسي صاخب..وبالدموع الساخنة تعمد ريشها المائل الى دكنة غامقة..بعد موت ابنها على مرآى ومسمع من قطعان الثعالب العربية المهزومة تحولت الى شجرة دائمة البكاء .. مسكونة ببحران ليلي رجيم..لكن لم تحمل معها في هجرتها اللاارادية الى الغابة سوى دراجة ابنها القتيل التي اقتنتها له يوم عيد الشهداء.في الليل تقطع الغابة جيئة وذهاباعلى متن تلك الدراجة الأثيرة موزعة رسائل سرية على جيرانها الأثيرين.. الأشجار المضطهدة ..وفي النهار تتماهى بحركة صوفيةاشراقية مع طيف ابنها الذي أطلق نداء استغاثة وامعتصماه وبأصابعه المرهفة المصطفقة أتم طقس الشهادة (لقد أسمعت لو ناديت حيا لكن لا حياة لمن تنادي) واضعة الدراجة داخل جسدها المليئ بكدمات زرقاء..بينما الأشجار الحزينة تصفق بحرارة باذخة..المجد والخلود للشهداء الأبراروليذهب الأعداء الى اصطبل النسيان .ما أروعك أيتها الشجرة الأم التي تخبئ دراجة ابنها الشهيد بين ضلوعها ذكرى لتضميد جرح الوطن .

- **الشجرة التي أخفت الرجل الملعون**

سحبه غوريلا إلى جوف الغابة حاملا إياه على ظهره مثل رهينة بينما دراجته المهشمة تستغيث على حافة الطريق الرمادي الذي يشق الغابة..إختفى الغوريلا بين الأشجار العملاقة التي ما عتمت ترشقه بكلمات لاذعة مستنكرة منددة بهذه الرغبة الجامحة في الافتراس الأبدي..

العصافير المدهشة تصدر صيحات فزع من هنا وهناك كأنما تطالب بفك أسر هذه الرهينة التي لا فكاك لها من قبضة الغوريلا والتي بدت مثل حزمة من الموز الطري تتأرجح على كتفي هذا الكائن الضخم ذات اليمين وذات الشمال..

بلغ الغوريلا مكانا آهلا بالقردة التي تبدو مثل دببة سوداء بذيول غليظة.. يتطاير الشرر من عيونها الضيقة..

قال كبير الغوريلا : ذره لي..

لا تمزقوا جسده الغض..

سأزوجه ابنتي العانس التي آقتنعت هذه المرة بضرورة الزواج

وإنشاء عائلة مهذبة وقوية تحترم قوانين العشيرة ودستورها الوضعي القائم على أسس صحيحة جدا..سيعلمنا لغة بني البشر ويكشف لنا عن سوء طويتهم وأساليب مكرهم ودهائهم.

سنخدع حواسه ونمتص ضوء حكمته ونجفف ينابيع عقله إلى أن يصير قردا مثلنا لا ينتمي إلى عالم البشر المسيئين إلى جوهر الطبيعة..

أقام كبير القردة عرسا فخما لابنته أنثى الغوريلا شهده كبار القوم من شيوخ الغوريلا..

أمضوا سبع ليال صاخبة في أعماق تلك الغابة المنعزلة..

زعيق حنجرات حديدية..فرقعات غصون مكسورة .. قهقهات مريعة..

وغناء بدائي غامض مترامي المدى..

لحم حمر وحشية وحزم من الموز

ومياه ينابيع صافية.

وآخر الليل إختلف جميع الغوريلا إلى النوم واختلى العريس الوافد بزيجته العملاقة في خيمة من القش وأوراق الزنزلخت..

إرتمت أنثى الغوريلا على شرشف

زاهي اللون مثل مساحة صغيرة من الخشب الثقيل مخاطبة إياه بلهجة صارمة امسح رجلي المدججتين بالشقوق والتقرحات

والمتوجتين بمخالب حادة..

لم يجد بدا من أن يخلط ورق الحناء البرية المعجونة بقليل من الماء..ثم دهن رجليها العطنتين..

بينما عيناها المشعتان تدقان مسامير الرعب على جدار قلبه الذي يدق مثل نواقيس يوم القيامة..

تحولت روحه المذعورة إلى طاووس تزعق بجنون في حديقة الجسد..

ولما أخلدت إلى النوم وتعالى شخيرها مثل طلقات مدفع كلاسيكي..فر هذا الرجل الملعون الذي ما عتمت تلاحقه اللعنات منذ طراوة عوده كأن روحا شريرة تقمصت جسده المليئ بالندوب والكدمات الزرقاء..

بعد ساعة من الضرب في الغابة

الوسيعة المزدحمة بضروب الأشجار المعمرة..

تناهى إلى سمعه صراخ وجلجلة

كما لو أن زنوجا حمرا في حرب

شرسة فيما بينهم..

كبير الغوريلا وعصابته يلاحقونه

لقتله والتمثيل بجثته ليكون عبرة لغيره ..

كان يجري مثل كائن أسطوري ..

تارة يسقط وطورا يواصل العدو

بكل ما أوتي من جهد وقوة..

وفي إحدى المنحدرات إنشقت شجرة رحيمة وابتلعته..

رقت لحاله ورغبت في إخفائه

عن عيون عصابات الغوريلا..

قال لها : شكرا أيتها الأم الرحيمة.

ولما فشلت القردة الضخمة المتوحشة في العثور عليه..

ولت عائدة إلى أعماق الغابة متشنجة مستشيطة غضبا ..

فتحت الشجرة الرحيمة صدرها

ليلتحق هذا البائس الملعون ببني

جلدته.

- **الميت**

هذه الأيام لم يرقني تصرفها الأرعن ومحاولتها المكرورة قصد الهروب إلى أقاليم نائية قد تجد مكانا أكثر أمانا من مرتفعات جسدي الصخرية المليئة بالكوابيس والثعابين والسحليات من ثم لم أجد بدا من تدبير مؤامرة جيدة لكشف أسرار تمردها وماذا تفعل خارج عش الجسد . كنت أتجسس عليها مرتديا قناعا يعج بخطوط مسمارية كثيفة لأشتت إنتباهها وأقلص دائرة إهتمامها بهذه الكومة من العظام البارزة التي هي أنا حيث يبدو وجهي كما لو أنه شيء يشبه حشرة كبيرة لا حراك بها.

صرت أشعر بدبيب شيء غريب يصعد من أخمص قدمي إلى حديقة رأسي ثم ينسحب من فمي المشرع مثل نافذة صغيرة أعلى الجسد.

قطعت كل أمشاج علائقي بي. أخفيت صرار اللاوعي في خزانة مجاورة صفعته بغلظة لئلا يطلق عقيرته ويملأ حجرتي بزعيقه العجائبي المخيف.

قلمت أظافر ذكرياتي الجنائزية ورميتها من النافذة لتنطفىء ببطء تحت تهاطل الهواجس والثلوج.

وعلى غرة تناهى إلى سمعي ما يشبه إصطفاق جناحي طائر مذعور. جمعت أشتات ذهني لكي أمسك بماهية هذا الشيء الذي تمرد على سلطة الجسد هذه الأيام المستعصية.

ثم أخذت هذه الخشخشة تتوضح شيئا فشيئا وتبرز للعيان كينونة زئبقية متوهجة تبدو إلى هيئة الطائر المتعطش إلى كسر كل القيود والعقابيل ناهدا إلى بكر السبيل.

كان جسدي ملقى على السرير مثل حشرة ضخمة سوداء مستسلمة لإيقاع المحو غير آبهة بزئير العالم الخارجي.

كنت أراقب هذا المشهد العبثي من وراء حجاب شفاف.

الطائر المذعور يضرب زجاج النافذة بجناحيه المتشففين ليندفع إلى الأقصي ليتحرر من كتلة الصلب المتمرئي. يحاول مرارا ولكن سرعان ما يعتوره النصب فيرتد إلى أسفل محدقا في تفاصيل الحجرة لعله يجد منفذا يتسلل من خلاله.تدمع عيناه الهلاميتان ويطلق زفرات متقطعة.

كنت أراقبه بسرية مطلقة. يبدو حزينا مكفهرا قلقا متقلقلا مخذولا

غائما مطوقا بغيمة من العذاب الأبدي. فيحزنني هذا المشهد وهذه السوداوية التي تطبع جوهره الخالد.

كنت أنظر إليه وأحدق في ذؤابة

طوقه المضرج بنثار الدم.

أبكي كما لو أني قبالة تمثال بوذا.

ثم أنظر إلى جسدي الذي لا يتحرك البتة كما لو أنه قبر في متاهة أبدية.

كنت أنتظر عبور باخرة الصباح الأغر لعل الأشياء تتغير وتعود الروح إلى عمائق الجسد ويندفع الإثنان إلى ضرب من المغامرات التليدة.

غير أن حتميات العالم البائسة جرت مجرى يتنافى وإرادة الكائن

المتعقل وأثناء هذه الورطة الشائكة فتحت الخادمة الباب ففرت الروح باتجاه أقاليم المجهول.

سمعت عاصفة شديدة من البكاء وباقات التعزية المشذبة يقدمها الجيران والأصدقاء إلى أهلي.

حينئذ نزعت القناع وأطلقت صرخة مدوية واختفيت وراء طابور المعزين وعلمت أني غدوت في عداد الأموات .

- **الرهينة**

حجرة دون نوافذ أو قل كهف قروسطي صغير تخيم على أرجائه دكنة غامقة حيث تنسج العناكب بيوتا معلقة في الهواء وتنصب الكمائن لضروب من الحشرات التي تخبط خبط عشواء لسد الرمق وإسكات نواقيس الجوع المزعجة. الخفافيش تتظاهر بشراسة داخل الكهف جيئة وذهابا ولوطوطاتها إيقاع جواني ملغز ومحير .

سحليات قميئة تعقد صفقات مع الأرواح الشريرة.

تزحف بأليغورية مترامية الأسرار حول سرير (ع) الخشبي المكتظ برائحة الإحتضار.

(ع) يصارع الموت منذ أشهر .

ولكن لم يستطع الموت إعتقاله كرهينة أبدية. تخلص منه ذوو قرباه بوضعه في هذا السجن الشبيه بحكايات ألف ليلة وليلة.

وبخاصة لما لفظته المستشفيات مثل خرقة بالية غير صالحة للإستعمال.

جسد متعفن يصدر رائحة مقرفة.

تعلو معظمه طبقة من القيح والدم المتخثر. هيكل عظمي يرابط في هذا الحيز المعتم.

إنتحرت الملائكة في مكان آمن. في غابة تحولت أشجارها إلى تماثيل نساء مترنمات بأناشيد كنسية خافتة.

إستفحل مرضه وتفتحت أكمام النوستالجيا وغزته كائنات غريبة من الماضي السحيق.

تذكر في البداءة القحبة التي قضمت ذكره وكادت تقطعه نصفين إثر خلاف نشب بينهما في بيت الإستحمام.

لأنه إكتشف حقيقة مرة أربكته طويلا.

كانت تحمل عضوا ذكريا متهدلا وخصية يتيمة.

يومها صفعها بقضيب حديدي على نهديها الهجينين حد الموت وحرض كلبه الشهواني بأن يعضها من مؤخرتها. ثم ركلها بكعب حذائه الجلدي.

المهم لم يتخلص من كوابيس هذا المشهد العبثي الذي عشش في جزيرة لاوعيه المهجورة.

وغالبا ما يطفو على السطح كلما إستفرد به المرض فاتحا باب ذكرياته على مصراعيه .

كان يعتقد أن الجنس البشري قد لقي حتفه إثر حرب عالمية ثالثة وأنه هو الناجي الوحيد من الهولوكست. والميت الذي لم يزل على قيد الحياة.

- **المأدبة**

يقيم (ج) في شقة جميلة مؤثثة بأروع ما ابتكر من أثاث ومرتبة ترتيبا جماليا رائعا. تقع في قلب العاصمة(ت) أشتهر بتجارة الأسلحة والتهريب وتبييض الأموال.فرت زوجته العصابية النحيلة مع تاجر مخدرات ماكر كان صديقا لبعلها الذي ما فتىء يعاملها معاملة الرقيق ويمعن في ممارسة طقوس جنسية غريبة حيالها معملا مخالب روحه الشهوانية في جسدها الغض الصقيل.

ظل وحيدا في شقته رغم ثرائه الفاحش لم يرغب في الزواج مرة ثانية. وبمضي الوقت تحول إلى وحش كاسر مراوغ يتقنع بأقنعة شتى لاستدراج ضحاياه إلى شقته

الأنيقة لينعم بمشهد شلال الدم وهو يتبجس من جسد الضحية.

السماء داكنة الوجه . الشمس مختبئة تحت تجاعيد الغيوم الكثيفة.

يرتدي (ج) نظارات سوداء حاملا عصا بيضاء مدعيا العمى. بينما يخفي سكينا تحت معطفه البني منتقيا ضحاياه من النساء الجميلات لإسكات خوار غريزته المدمرة وثعابين شهوته المتربصة.

إستوقف إمرأة جميلة رشيقة ضحوكة الملامح قصد مساعدته وتشييعه إلى شقته القريبة.

أمسكت بذراعه على التو واندفعا الإثنان باتجاه العمارة الفخمة بينما المطر يرتل جنازه الرتيب والمارة يتدافعون مثل قطيع من الغيم المبعثر هنا وهناك.

فتح باب شقته ثم جر المرأة من شعرها القمحي الناعم إلى الأمام مسددا لها لكمة قوية في صدغها الأيمن سقطت إثرها فاقدة الوعي.

صاح بكل ما أوتي من نشوة .

يا لها من مأدبة لذيذة.

سقط مثل بناية متداعية على جسدها الهش. أخذ يجامعها كما لو أنها جثة هامدة ولما أتم طقسه الإحتفالي أخذ يتفنن في تقطيع أطرافها بسكينه الحادة جدا.

وضع لا وعيها في إناء بلاستيكي

مثل نبتة مقدسة في دير آهل بالقساوسة.

سحب عروقها وشراييها بعناية فائقة ليصنع منها حبالا جيدة . ليصعد إلى أعالي هواجسه الليلية في براري النوم.

شرب كأسا من دمها الذي طفق يتخثر مقتنعا بأن الدم يخلص الجسد من عبث الأرواح الشريرة.

أثناء هذه الحفلة الدموية التي إغتدت ضرورة لبقائه على قيد الجنون.

كان يمتص عيني ضحيته المحدقتين في اللاشيء بعد اقتلاعهما بملقط مكسو بغلالة شفيفة من الصدأ كما لو أنهما قطعتان من الحلوى ذات المذاق الباذخ.

العينان يقويان سحر المخيلة ويرفدان حدقة الروح بأنساغ سرية التأثير.

ثم يطلق ضحكة كما لو أنه يلقي حجارة في بئر هادئة.

ينادي قطه الأسطوري الضخم ذا الروح الشريرة ليشاركه لذاذات هذه المأدبة الفخمة.

القط (غ) له رأس يشبه الذئب كثيرا وقوائم دب قطبي صغير وعينا إلاه يجلس على كرسي في أقصى الجحيم.

إنه لا يموء بل يتكلم بأحرف مسمارية مبهمة لا يفهم مداليلها وأبعادها إلا (ج).

يرقص مثل عبد حبشي ويغني مثل محارب يحتضر .

مفتونا بفاكهة العادة السرية.

بما أنه لا يجامع إناث القطط ولا يحتك بأحد خارج الشقة.

هو سجين شبقي مثل صاحبه لا تصله علاقة بأحد.

تقدم القط (غ) متفحصا أوصال هذه الجثة. منتظرا إشارة من سيده حتى يلتهم ما لذ وطاب.

أشار عليه بقضم حلمتيها وقطع لسانها المتهدل ففعل.

– هذه الضحية بضة مكتنزة تصلح لأيام الشتاء الباردة.

(ج) مخاطبا قطه الملطخ فمه بالدم :

– مارأيك في عشاء الليلة.

– رائع ومستساغ يا سيدي.

– الفضل يعزى إلى العصا التي يحملها العميان.

– وإلى النظارات السوداء كذلك.

– سيدي لماذا لا تقتل الرجال أيضا

– أشتهي خصيهم بأسناني .

–لقد تحول جميع الرجال إلى نساء في هذا الوطن الأرعن.

سأكف عن مهنتي هذه حين ينبت الرجال في تربة هذه الرقعة العدمية.

- **الثعابين**

قررت بعد تفكير طويل أن أرسل جسدي مفصولا عن رأسي بسبب إقتضاءات وإكراهات شتى .

أطلقت جسدي المفصول صباحا ليفاوض العالم بدلا مني ويصنع معجزاته بعرقه ويحتك بالأضداد.

عاتبني رأسي طويلا مدويا.

– لماذا تركته وحده يجابه العالم

الخارجي؟.

– أشفقت عليك من الطعنات المكرورة التي تلقيتها من نظرات المومياء المليئة بقش العتمة واللامبالاة والسدود الغزيرة التي تفصل بين الحقيقة ونقيضها.

–إذن أنا غير موافق تماما على هذا

التصرف الأرعن.

– لا أشاطرك الرأي من الحكمة بمكان أن تنال قسطا من الراحة وتعيد ترتيب أوراقك جيدا. وتشحذ عالمك الداخلي بعيدا عن السوقة والرعاع والجثث المتعطنة.

– أنا إلى حد هذه البرهة العصيبة لن أجاريك فيما ذهبت إليه.

– إنتظر .

– ستبدي لك الأيام.

– هذه مغامرة لم يجترحها إنسان يستميز بآلية تفكير مستقيم راجح.

–أنت الآن قطعة مسحورة من العظام المدورة مستطاعة بغيرها .

– سأضعك على منضدتي وأدخل عليك بعض التعديلات الجذرية حتى تتحول إلى شيء مهم ونفيس.

وبينما كنا منهمكين في حوار ساخن.

سمعنا إصطفاق الباب وقرقعة صغيرة أدركنا للتو خروج الجسد وحده لمجابهة ثيران الحتميات البائسة.

إنه الجسد يصطدم بالباب الخارجي ويتلقى صفعة أولى ولكن واصل طريقه غير آبه بشيء.

المهم أن يستعين بذاته وقدراته وقوته الفيزيقية.

قطع شوطا لا بأس به لم يمسسه أي مكروه أو أذى.

صاح منتشيا أنا لست في حاجة إلى رأس يدلني . أنا سعيد ببوصلة القلب المدهشة. إندفع في غناء فريد دافىء عذب كما لو أن العالم خير محض .

بيد أن ما نحس به لا يتوافق أحيانا مع قوانين العالم الخارجي.

وعلى غرة أبصره لفيف من الأناسي وعدوا إثره إشباعا لنزوتهم الحارقة في معرفة الحقيقة.

الناس عادة لا يرغبون إلا في إصطياد الحقيقة المتبدية للعيان

أما الباطن فمهمل ومتروك ومهجور ولا يعني شيئا لهم.

كان هذا الجسد السيء الحظ يركض في كل الإتجاهات بينما يلاحقه الآخرون لأسره واستغوار أمره الغريب .

رشقوه بالحجارة لإسقاطه. ما إن يسقط حتى يستجمع أشتات قواه ويواصل الركض مكتظا بكدمات زرقاء .

لم يرضخ. ولما كان سريعا في عدوه إستطاع أن يختفي عن الأنظار في غابة كثيفة معتمة حزينا يائسا . حاول أن يفكر ولكن لم يفلح في ذلك. لأن رأسه مختبئة في شقة بعيدة عن أعين الشياطين.

ظل هنا ساعات طوالا مصغيا إلى قيثارة الينابيع العذبة وحفيف الأشجار وترانيم الطيور على تمايز أشكالها وألوانها وعواء الذئاب الآتي من الأقاصي .

فجأة تناهى إلى سمعه الداخلي صوت نابع من الأعماق الكثيفة.

يا جزءا من سنخي . لقد خمشت بصري هذه الكدمات الزرقاء التي يعج بها جسدك.

– قال الجسد بلهجة خافتة :

لمن هذا الصوت؟.

– صوت الأرض التي أجبروك على التحرر الخاطىء من جنتها الأبدية. ولكن طب خاطرا. إنها لا تعدو أن تكون مجردة طفرة.

ستعود إلى بيتك الحقيقي وتحظى بمنزلة عظمى في النسيج العميق لجذوري.

– شكرا أيتها الأرض على هذا الإحتفاء والترحيب.

تحامل على نفسه وأم من جديد سمت الواقع ليجابه هذه المخلوقات الكابوسية الجامحة المفطورة على الشر وحبك المؤامرات وشن الحروب الضارية وعقد الصفقات الخاسرة.

وما إن وطئت قدماه باب المدينة حتى نشب خلاف حاد بينه وبين لص متهور كان يرغب في اختلاسه وفجأة سقط صريعا ملطخا بدمه إثر طعنة غائرة.

- **من قتل (ج)؟**

الثالثة مساء

ندف الثلج تتدافع.. شهر يناير ذئب قطبي ما فتئ يعوي منذ أيام قلائل فوق أسطح البيوت القرميدية.

كان حاجز بلوري يفصل بينهما. كل يضع سماعة الهاتف في أذنه المستنفرة.

الكلمات تتساقط مثل أوراق الخريف من شفتي إبنه السجين.

الإبن متلعثما عيناه تحلقان مثل عصفورين مذعورن.

– لست أنا الذي رشق السكين في قلب (ج).

ثمة وحش قذر مخيف بدائي قفز من قفصي الصدري

وأعمل أنيابه في جسد (ج).

ثم إختفى على غرة داخل غابة أعصابي الكثيفة.

أنا بريء أنا بريء.

الوحش الدموي الذي يحتل مملكة جسدي هو القاتل الحقيقي.

نظر إليه الأب نظرة سريالية غائمة

– هون عليك يا بني.

أعرف جيدا إنه الجني الذي خدع أمك وأهاب بها إلى إعمال النار في جسدها لكي تتخلص من الأشباح التي تضربها بالكرباج في الليل فتصدر صوتا ميتافيزيقيا غريبا مزعجا أقض نوم الجيران.

– إنهم يبغون مضاجعتي وجري إلى مكان معتم جدا.

أبي : هل مات (ج) ؟

الأب : نعم .

لقد قتله دب نصفه الأسفل بشر .

– كيف ؟

صوب خنجره السام باتجاه قلبه فأرداه قتيلا.

– لكن لماذا أنا في السجن ؟

لأنك متهم بجريمة قتل مروعة .

أطلق الإبن عبوة ناسفة من أعماقه تناهت إلى مسمع السجان الذي كان يراقبه عن كثب.

– إسمعني جيدا يا أبي

لم أقتل (ج) إطلاقا .

لقد إنتظره البحر طويلا ليشيعه إلى بلاد الفرنجة لتغيير معالم حياته الشحيحة البائسة ليفر من أخطبوط الموت البطيء ونعيق غربان اللاجدوى ليصنع ملحمة فذة لحياته الهامشية الكريهة.

بيد أن البحر غضب غضبا شديدا لما تأخر (ج) فقرر الذهاب إلى بيته على أطراف أصابعه وإطلاق النار عليه.

البحر لا يظلم أحدا . إنه لا يحب الكذب واللف والدوران والضحك على الذقون. البحر يحب المغامرين وأسباط السندباد .

الأب : أحيانا أشك في قدوم تلك المومس خلسة متلفعة بثياب راهبة مسنة لتقتص منه لأنه إفتض مشاعرها وهدم فردوسا صغيرا أقامته على حافة قلبه المتشفف عاقدة العزم على إتخاذه بعلا والهروب من صخب الحانات وشقشقة أفاعي المامبا.

إنها القاتلة المتخفية التي طاردته مثل فريسة هشة ومن ثم لم تجد بدا من حمله إلى عالم الماوراء.

– الإبن مخاطبا الأب بلهجة خافتة : أصدقني القول يا أبي هل أنت القاتل السائر في جنازة (ج) ؟

الأب– أنا لا أقتل المجانين مثلك.

– الإبن : ملامحك تشي بذلك يا أبي.

– أنت قتلت جدول الفرح الصغير في أوج عنفوانه.

شردت عصافير العائلة التي تسكن في أعشاش قلوبنا.

– الأب : أنا لم أقتل فراشة واحدة في حياتي.

– الإبن : يصرخ يا سجان يا سجان

هاهو القاتل الحقيقي.

– إنه أبي الذي قتل (ج) بمسدسه الإداري لأنه دافع عن شرف أخته العذراء لما حاول أبي إغتصابها.

– أبي جاسوس وشهواني وعاهر.

وفي هذا الوقت بالذات حيث هاجت ثيران جنونه تدخل عدد من السجانين ساحبين الإبن إلى إلى باحة السجن صائحا

أنا بريء أنا بريء.

بينما عاد الأب أدراجه إلى الخلف.

مخاطبا نفسه بإيقاع تراجيدي.

– هل أنا مجرم؟ هل أنا حقا من قتل(ج)؟

- **قلقامش الصغير**

إحفر في كل مكان تجد عشبة الخلود . لقد سقطت من فم الأفعى المتغطرسة لما طاردها عفريت من الجن. إنها مدفونة في مكان ما من هذا العالم. قد تكون داخل حيطان حجرتك المعتمة أو في صحن البيت. أو في أحد شوارع المدينة المحاذية لطابور الموتى.

لا تيأس كما يئس قلقامش . الموت على بعد أمتار من حديقة رأسك.

لم يك بد من إلحاق الهزيمة بالموت واستئصال شأفته.

يقفز (ع) من شرفة النوم مثل قطار مبحوح الحنجرة مصطفقا مثل ورقة في مهب الريح. وقد نالت منه هذه الكوابيس المزعجة جدا .

يلتقط فأسا حادة ويظل يحفر هنا وهناك منقرا عن هذه العشبة الملعونة.

لا بد من العثور على هذا الكنز وإبطال مفاعيل الموت. هذا الغول المتوحش الذي إلتهم خالصتي وأفرغ رصاصاته في شجرة الأسلاف الجميلة.

لقد حفر حفرا كثيرة في البيت بحثا عن تلك العشبة السحرية ثم إمتدت يده خلسة إلى كنيسة مجاورة لبيته. كان حفارا فذا غير آبه بمآل الأمور.

– سأصطاد هذه العشبة المتخفية تحت جلد الأرض وأنتصر على الموت وإرادته الأبدية المدمرة لجوهر الأشياء الجميلة.

لقد أتعبه الموت إلى حد الجنون.

تخطف صديقه أنكيدو أو الهاشمي الذي قاسمه الضرب في مناكب الماورائيات وقتل الثور المجنح وقطع أشجار غابة الأرز وإطلاق النار على ذلك الحارس البهلوان خومبابا.

لقد بكى بحرقة عند إختفاء الهاشمي صديقه اليومي الصميم .

ذاك الأعزب السريالي الذي أفرده جميع الناس واغتدى ظله الذي لا تمحي معالمه .

لقد حلقوا شعر رأسه المهوش قبل دخوله إلى غرفة العمليات بمستشفى الأعصاب بشفرة طبية حادة إثر تعرضه إلى جلطة دماغية حادة.

لكن لم يدر بخلده أن الموت يترصده مثل قناص شوفيني.

بيد أن الهاشمي خرج جثة هامدة من بيت العمليات .

رفض دفنه أسبوعا كاملا بما أنه لا يؤمن بحتمية الموت وقوته الضاربة في معدن الأشياء.

أخيرا حمله على ظهره خلسة ودفنه في حديقة بيته منتظرا المعجزة أو قيامة صديقه البائس .

ظل يجلس بمفرده في مقهى الميناء محلقة عيناه مثل نورسين مذعورين فوق الأمواج العبثية.

مات الهاشمي وكثير من أصدقائه

خدعهم الموت هذا الدجال المهجوس بسرقة الأرواح الشفافة المتوهجة. وإفراغ الأشياء من معناها الجميل.

لم تكن أمه من جنس الآلهة وتحدر أبوه من عائلة غير متدينة .

صار يؤرقه فعل الموت في الأشياء.

وظل يحفر في كل مكان بحثا وتنقيبا عن العشبة التي أخفتها الساحرة في باطن الأرض.

لقد كست التجاعيد جسده الهش

وغارت عيناه المتلامعتان.

الموت يخرج لسانه الطويل المعقوف ساخرا من عمله العبثي والحفر الغزيرة التي أنجزها دون إدراك مبتغاه والحصول على عشبة الخلود.

بينما كان منغمسا في نوم عميق لاح له طيف أنكيدو صديقه الهاشمي الذي مات في المستشفى

مثل آلاف الناس.

– كف عن الحفر يا صديقي.

العشبة في بطن الأفعى التي تحولت إلى جزيئات من الغبار الشفيف.

أصح يا صاح. صدقني بالفعل الخلاق وحده ستنتصر على الموت. من ثم أنت مجبر على مقارعته بديمومة الخلق والإبتكار والإنشاء .

- **كافكا في السجن**

المطر ضرير يخبط في صحن البيت المتداعي . البيت الأشيب إلتهم طفولة (م) بفكي حيوان ضار . العتمة تفتح النار عشوائيا على الجيران . رائحة مقززة متعطنة تتطوح في أصقاع الحجرة المليئة بثعالب الهواجس.

هنا كل شيء يرغب في الموت.

في الهجرة الأبدية إلى أقاليم الغياب الوسيعة. مومياء مسنة تحمل ذؤابة شمعة بين أصابعها المكسوة بتجاعيد كثيفة . تحدق في تفاصيل وجه الأب المتكوم مثل حشرة عملاقة نافقة.تبدو جثته مقطوعة إلى نصفين متوازيين كما لو أن شظية طائشة كانت وراء ذلك.

تزرب من حدبته ديدان مقرفة.

عيناه الضيقتان تبدوان نصف مغمضتين

أمضى نهارا يتخبط في خرم اللامعنى تلاحقه الأعين المتجسسة المرفودة بالكراهية والسخيمة.

تعض شحمة أذنيه أشباح نزقة.

عربة الجار ذات الحنجرة المبحوحة المزدحمة بالغيوم تنادي باسمه كل صباح ليقترف العبث والجنون واللاجدوى بغية الحصول على رغيف أسود سام فظيع.

(ن)تخطفها حوذي الموت في الرابع عشر من آذار الفائت.

ماتت مثل سحلية قميئة في مكب نفايات. مخلفة فراغا يزعق مثل بومة عمياء كل مساء.

طردتها الحياة بمكنسة على مؤخرتها باتجاه الهاوية.

رغم ذلك لم تيأس من كسر قوقعة الفقد والتحليق بأجنحة متوهجة

في أصقاع البيت كلما تختفي الشمس وراء أكمة الأفق البعيد.

تزور بعلها المتشقق المنبوذ وابنيها اللذين ما عتما يحلمان بدفء عائلي أثير.

كان إبنها(س) يحس بوجودها وبخاصة حين تصهل فرس الظلمة

ويطلق الرعد أول قذيفة مروعة باتجاه الأرض وتتعالى أوركسترا القطط المتوثبة إيذانا بحفلة تنكرية ساخطة.

كان يناجيها بكلمات رقيقة ناعمة

بينما حزمة من الدموع تتساقط مثل شآبيب المطر على وجنتيه.

الأب حشرة منبوذة .

أخوه الصغير (ر)يثغو مثل شاة يهددها قطيع الذؤبان.

منذ يومين لم يذق شيئا على الإطلاق.

الله لم يعد مهموما بمشاغل هذا الكوكب الملعون المنذور لموسيقى الموت البطيء . لا ينظر إلى الفقراء بعينين صافيتين.

نام الإبن الصغير بجوار جثة أبيه المنتفخة.حالما بنصف رغيف طازج وحذاء جديد لقدميه المتفحمتين.

تأبط (س) سكينا حادة واختفى في بطن العتمة. لم يحظ بأي عمل بسبب العاهة التي التي تكسو وجهه الكابوسي.

الناس موتى والبيوت مقابر.

لا نجوم على سطوح السماء.

الأشباح تتقاطر مثل مسافرين جاءوا من مدن نائية.

لا بد من ملاحقة جنود الجوع الذين يحلقون حذو جسد أخيه الصغير الذى طفق يتلاشى ببطء مثل غيمة في سماء محدبة.

وبينما كان يحرث الحواري بساقي كنغر أبله إذ لاح له بيت وسيع يشي بضرب من النعمة وبلهنية عيش قطانه.

وفجأة تقحم بيتا فخما .

دقات قلبه تتسارع مثل عجلات قطار يحمل جثثا ورهائن.

ينز عرق بارد من جبينه الناتىء.

تفر من زجاج عينيه المكهربتين شياطين مجنحة مخيفة.

خطا خطوات مثيرة للأعصاب.

إنطلق خفاش من شجرة مجاورة

مثل سهم مصطدما بعامود كهرباء خشبي. صمته المتهدل يدق الطبول كما لو أنه في ساحة ملآى بالزنوج.

تسلق الجدار مثل فهد.قفز من البلكونة إلى غرفة الإستقبال المؤثثة التي تشي بالنبالة والبذخ.

ملأ جيوبه بمجوهرات نفيسة للغاية. ثم عاج على المطبخ بخفة.

إلتهم ما لذ له من أطايب المأكولات. ثم إرتد على عقبيه سعيدا بهذا الكنز الذي يتلألأ في جيبه. ثم قفز من سور البيت الفخم متجها إلى بيته المتواضع كما لو أنه فاتح كبير لمملكة السعادة الأبدية.

وبينما كان يمني نفسه بقضاء آخر أسبوع مريح لعائلته البائسة جدا.

إذ قبضت عليه دورية أمن على حين غرة وتم اقتياده إلى السجن لما إقترف من جرم مشهود.

وأعيدت المجوهرات إلى أصحابها.

- **قيامة غريغور سامسا**

لم تطله لعنة غريغور سامسا برغم الخيوط الدقيقة التي تصله به والعلقة الصميمة التي تشده إليه.

كان يبكي طويلا كلما انغمس في قراءة رواية التحول التي قلبت رؤيته للعالم رأسا على عقب.

هذا الغريغور البائس الذي تحول إلى كائن هش دميم مستطاع بغيره.

يقضي معظم وقته متقوقعا مفكرا في فداحة شرطه الوجودي الطارف مختبئا تحت السرير منتظرا رمال مصيره المظلم التي ستقذفه إلى المجهول شاعرا بألوان من العنت والعذاب اليومي الذي لا يضارع.

لكن(ق) لم يتحول إلى حشرة قميئة بل تحولت نظرة الآخرين إليه كما لو أنه شيء غير مرغوب فيه , غير جدير بارتكاب فعل الحياة مثل غيره من الأسوياء.

تألبت عليه الكلاب الضارية من البشر الذي ينبحون طوال الوقت.

حاولوا طويلا سرقة روحه واستئصال جوهرها الصافي بأنيابهم الصدئة.

غير أنهم باءوا بالفشل الذريع. حاولوا صلبه على صخرة الدعاية المغرضة لتقطيع إرادته وإفراغها من كل معنى جميل وإلقاء كتل من الرماد داخل حديقة مخيلته الخصبة . ولكن قاومهم بكل ما أوتي من إبداع وجمال وفرادة.

كانوا يحرضون كل شيء ضده البشر الحجر الشجر حتى الفراشات الشفيفة البريئة بيد أنه لم يهن ولم تذهب ريحه.

ظل يصارع هذه الطغمة المتوحشة كما لو أنه أسد أسطوري لا يقهر.

العميان كثر.

– سأسقط الجسر على رؤوسهم.

سأستأصل صورة الحشرة القميئة التي خلعوها علي وعلقوها في برواز مخيلتهم العرجاء.

أنا رجل عظيم قادر على تغيير معالم الأشياء وإعطائها معنى عميقا.

سأقاتل هذا الطابور الذي لم يزل يشك في قوة إرادتي الإنسانية الفذة.

ستكون الكتابة سلاحي الذي لا يفنى. سلاح الآلهة الأبدي. سلاح الإنسان الذي تجاوز شرطه إلى أقاصي المستحيل.

(س) يخاطب (ع) بلهجة ساخرة.

إنه حشرة مقرفة .

تأمل في جحوظ عينيه البراقتين.

كتفيه غير المتساوقتين ,حدبته الكريهة. فمه الأدرد الضيق .

(ع) رغم أنه يمشي على قدمين فإن صورته التي تشبه حشرة مخيفة زنخة لا تفارق مخيلتي.

إنه لا يمت إلينا بسبب.

– تبا لهذه الحشرة العملاقة .

– لا بد من اضطهادها واجتثاث شأفتها .

– حشرة قذرة مغرورة تعتد بنفسها ما عتمت تقاومنا طرا.

قال (س) سأخطط لاغتيالها وإراحة العالم من صورتها البشعة.

لقد أمعنوا في إيذائه وتشويه سمعته وتأليب العالم ضده .

لكن (ق) محا تلك الصورة البشعة التي تخيم في عقولهم . . صورة الحشرة القميئة .

لقد إنتصر على أعدائه أجمعين الناس والزمن والموت بسلاح الكتابة الأبدي.

لقد حول حشرة كافكا الملعونة القميئة إلى قوة إبداعية لا تقهر.

- **جثة دون مأوى**

رن جرس الهاتف بوحشية مفرطة.

هاجم أذنيه الشبيهتين بأذني أرنب مذعور. تعالى صوت ناظر المستشفى البارد واللامبالي

– الجثة جاهزة بمقدورك القدوم حالا واستلامها.

المطر والشمس يشكلان لوحة سريالية مدهشة. يخلعان دكنة خفيفة على العالم المتحرك .

لفت إنتباهه مواء قطة صغيرة تواجه مصيرها بهشاشة وارفة الظلال تستعطف المارة النائمين دون جدوى.

حدق في اللاشيء أو فيما ستكون عليه الأمور قادم الأيام.

لقد سحب صاحب المحل محتويات البيت المتواضع إلى الخارج لأنه لم يسدد معلوم الكراء منذ أشهر ثلاثة.

ولكن لم يك بد من إيجاد حل جذري لإيواء جثة أمه التي أعمل فيها الفالج مخالبه الحادة.

الموت والفقر هما العملتان الذهبيتان اللتان ورثهما من العائلة الملعونة.

ماذا سأفعل بهذه الجثة البائسة؟

لا بيت لي الآن والأقارب تحولوا إلى مومياءات لا تصغي إلى نداء الروح المهيضة المخذولة .

عرض عليه صديقه الذي يعمل صيادا في بحيرة مكتظة بالوحوش الغريبة.

– بمقدورك جلب جثة أمك إلى بيتي. سأقيم أنا بكل مستلزمات الدفن. أنت بمثابة أخي لن أتخلى عنك إطلاقا.

سنقيم جنازا رائعا لهذه الفقيدة كما لو أنها أمنا الأثيرة.

لا تشغل بالك يا صديقي.

غير أن عيني زوجته لا تشيان بخير.

هذا ما استبطنه من نظرتها المليئة بالإشارات التي تنم عن الريبة والقلق.

ولكن لم يبال بهذه النظرة المريبة.

ويمم وجهته نحو المستشفى.

سقط الليل بجناحيه السوداوين الغربيبين من أعلى شجرة السماء ليحول العابرين إلى ظلال متحركة

بعد ساعة تقريبا عاد بالجثة البائسة في عربة إسعاف قديمة.

طرق الباب طرقا متواصلا ولكن لم يفتح إطلاقا.

أدرك آليا أن زوجة صديقه نجحت في طرد الجثة والسخرية من روح الإنسانية التي إستماز بها صديقه المغلوب على أمره.

أسلمه سائق عربة الإسعاف جثة أمه وانصرف .

حمل الجثة واختفى في الظلام. بينما المطر ظل يبكي بمرارة داخل رحم المدينة.

- **القردة**

إختفت النجوم وراء أكمة من الضباب الكثيف.أيقظته رقصات الفلامنكو التي يمارسها المطر على زجاج النافذة . فتح الأحدب باب بيته الخشبي الشبيه بغطاء تابوت قديم. كان يضلع مثل إوزة مسنة.

إمتطى عربته التي يجرها حصان

من القرون الوسطى واتجه نحو الماريستان لجلب جثة أحد جيرانه الذي مات بفيروس الكورونا الذي سيحصد أرواحا ثرة في بداية هذا القرن الوبيل بما أن ثمة إضرابا قام به عمال محطات بيع البنزين.

الحصان يركض مثل أرملة وراء نعش. الأحدب ذو العينين الضيقتين يكاد يسقط من العربة المتلعثمة الإيقاع.

منذ خروجه من بيته لم ير أحدا من البشر كعادته كل يوم. لم ير غير قردة بدائية تملأ الشوراع والحواري ليس ثمة سيارات ولا قطارات ولا درجات نارية.

قردة تتقاتل وتتراشق بالحجارة.

شرطى ملقى على الأرض ملطخا بالدماء. حاول أن يدحض حجج عينيه العميقتين ولكن لم يفلح.

صدمه مشهد تراجيدي جارح لما رأى كوكبة من القردة مسلحة بالعصي والهراوات تقفز من سور البرلمان وتطلق زعيقا مخيفا يثير التقزز والإحباط.

ورأى كراسي مهشمة مقلوبة وعيونا عمياء تنز بالدم على أضابير مضرجة ببراز الكهنة.

واصل طريقه إلى الماريستان لجلب الجثة بأقصى سرعة ممكنة.

إعترض طريقه قرد ملتح يبدو متشددا منقبض النفس قصير القامة له ذيل معقوف يرتدي نظارات سميكة.

سدد نظرة حادة للأحدب المصدوم

محاولا إسقاطه من عل دون سبب منطقي.بيد أن الأحدب لكزه بسرعة فائقة بسوطه فوقع أرضا

مجلجلا شاتما أصل البشر .

الطريق ملآى بالقردة.

المواخير والحانات وقصور العدالة

والسجون وساحة الحكومة.

إختفى النوع البشري وحل محله شكل زنخ من القردة التي تتقاتل طول اليوم محدثة الفوضى والإضطراب.

واصل الأحدب السير قدما ولما بلغ باب الماريستان وجد الجثة ممزقة يتقاسمها عصبة من القردة والدم يتطاير في الهواء.

وعلى غرة إنقضت القردة على الحصان المسن بينما لاذ الأحدب بالفرار.

- **بيضة الحصان**

بحركة مجنونة يقيد يديها إلى الوراء عاصبا عينيها بقطعة من القماش أسود اللون ضاربا أماكن حساسة من جسدها بكرباج موثقا نهديها بخيط متين كما لو أنهما رهينتان متحالفتان ضده ثم يقرض الحلمتين المذعورتين بأظافره لإسكات نباح جسده المتوحش هكذا يعلو ويهبط مثل قطار هارب من أشباح ليليلة رجيمة تلاحقه بضراوة وحين ينتهي من مضاجعتها يضع بيضة ذهبية مغرية تحت جذعها المتوقد.

بينما هي مجرد بيضة مغشوشة تبدو كما لو أنها ذهب خالص.

سعدت المرأة كثيرا بالبيضة الذهبية وغدت تراوده لينكل بجسدها حتى تتمكن من الحصول على بيضة من الذهب النادر.

لم تكتم زوجته الجميلة هذا الأمر الغريب. صارت تسر لجاراتها بما وقع لها أثناء مجامعتها مع بعلها.

فتقربت منه نساء كثيرات قصد الحصول على بيض ذهبي نادر ليتجاوزن وضعهن السيء للغاية.

ويقطعن مع واقعن المأزوم.

لقد ضاجع تقريبا جميع النسوة في تلك المدينة الموبوءة.

وكلما مارس الجنس بطريقة مثيرة جدا مع إحداهن وضع بيضة من الذهب المتلامع المغشوش.

ذاع صيته في تلك المدينة صار يجامع النساء ويمارس اللواط مع الرجال قصد حصولهم على الذهب ضاربين عرض الحائط بكل القيم والمواضعات الإجتماعية.

سمع الملك بأمر هذا الرجل الغريب

أمر بجلبه حالا وحكم عليه بمجامعة كل جواريه ليحصل على مزيد من الذهب رغم امتلاء قصره بسبائك الذهب الإبريز .

ثم فرض عليه ممارسة اللواط معه لتمتلأ صناديقه بالذهب ليبدو ثريا جدا أمام ملوك الأقاليم المجاورة له.

وفي أحد الأيام ترك الرجل المحتال وصية في القصر بأن البيض مغشوش وليس من الذهب في شيء .

- **حكاية الرأس المقطوعة**

الجبل مكتظة شراييه المتشعبة بالقتلة السريين. الشمس تتدلى مثل ثدي ملطخ بالدم والمساء ينظف ريشه على حافة الأرض.

رائحة الجريمة تنبعث من كل مكان. برزت كوكبة من الشياطين.

مسلحة بالفؤوس والأسلحة الخفيفة. تقدم ذئب ملتح يتطاير شرر الكراهية والسخيمة من عينيه الضيقتين

وبحركة بهلوانية خاطفة قطع رأس الراعي وأسلمها إلى أخيه واتجهوا إلى مكان غير معلوم حاملين عددا من الشياه الهزيلة كما لو أنهم أنجزوا ملحمة تاريخية مهمة.

تبخروا في أصقاع العتمة الكثيفة مثل قطيع من الذئاب الماكرة المتوحشة في انتظار فريسة أخرى .

الجثة تحولت إلى طائر ليلي لا يني يغرد بإيقاع شجي . تبدو أشجار الصنوبر مثل نساء متسربلات بالأسود يطلقن الزغاريد المبحوحة المتقطعة مرفودات بسر جواني غامض محتفيات بهذا الطائر الذي تتساقط شآبيب الضوء من قوادمه.

الجبل يمشي على عكاز من الخشب الأحمر محدودبا بينما ساقاه المعقوفتان ملطختان بدم الراعي.

حمل رأس أخيه بيدين متعثرتين

قاصدا بيته الذي يخفي بين حيطانه المتهالكة عجوزا شبه كفيفة تسامر أشباحا تتدافع في حجرتها المنذورة للسقوط.

– سأكون شهريارك الوفي الذي لا يمل من سرد القصص الغريبة لئلا يطال القلق قلعتك الخفية .

– حاول أن تضع عيني مثل لوحة تشكيلية على حائط غرفتك لأظل مستيقظا طوال الليل.أعدك لن أدع بنات آوى تقتحم غرفتك الصغيرة.

– لن أدفن رأسك إطلاقا.

– سأغسلك بدموع أمنا القديسة التي فرت عصافير عمودها الفقري من الجهد اليومي المكرور . سأحنطه وأطرد كل معز أو قبار يرتاد بيتنا. لن تذهب إلى المقبرة إطلاقا. سأخبئك في خزانتي نهارا وأخرجك ليلا لأحيطك علما بكل قاذورات هذا الوطن المليء بالمسوخ والزعانف والقتلة واللصوص.

– شكرا أخي الجميل.

كان الأخ الأصغر يلتفت يمنة ويسرة راشقا بصره في تقاطيع هذا الرأس المفصولة مشفقا من ملاحقة الذئاب القروسطية.

إصطدم بحجارة ناتئة سقط الرأس من بين يديه منزلقا نحو أسفل الوادي كما لو أنه مسكون بطاقة ميتافيزيقة ضاغطة.

أمسكه بعد لأي.

أطلق زخات من الدموع العميقة.

حمل رأس أخيه الممهورة بكدمات زرقاء.

قطع مسافة طويلة كما لو أنه متجه إلى يوم الآخرة على قدمين من الجبس.

فتح الباب على مصراعيه وصاح بملء روحه الممزقة.

أماه أسرعي لقد قطعوا رأس أخي.

نظرت بعينين شبه مغمضتين.

وانفجرت مثل نيزك إبني إبني.

زربت غمامة دموع من عيني هذا الرأس المقطوعة .

مزقت الأم ريش روحها المهوش. – – من فعل بإبني هذا؟

– ذئاب القرون الوسطى.

نظرت إلى الأعلى كما لو أنها تبحث عن جثة إبنها التي تحولت إلى طائر ليلي لا يني يغرد طل الليل فوق شجر الصفصاف .

أخذ الأخ رأس أخيه ووضعه في ثلاجة صغيرة متداعية.

إختفت الأم داخل غيمة كثيفة من الحداد الأبدي.

– سنقتص منك أيتها الذئاب القذرة .

ستبتلعك الأنفاق المعتمة.

ثم تهالك على نفسه لم يطق صبرا على فراق أخيه. فتح الثلاجة وعلى غرة سقط الرأس أرضا ثم إندفع مثل كرة من النار باتجاه الجبل باحثا عن جثته التي تصله بها ألفة أثيرة وحميمة جدا.

- **قصة لم يكتبها فرانز كافكا**

صلب أحد الرواة بسبب قصة صغيرة كان يرويها للبحارة الراغبين في نسيان أهوال المغامرة وغرائب المخلوقات التي مروا بها في عرض البحر.

عد زنديقا ومارقا فأعملوا النار في جثته وبيته. شردوا زوجته وأبناءه لأنه تعدى حدود المقدس وبال على معتقدات القبيلة البالية.

قال الراوي : ثمة ملاك نصفه رخ ونصفه الأسفل ثور. كان خادما مطيعا يعمل بستانيا في قصر الله المنيف ميالا إلى العزلة حفار أسئلة مروعة نزاعة إلى المساءلة والتجسس على أسرار الخالق.

وكانت الملائكة تهابه لأنه مسلح بمسدس كاتم للصوت وله قدم راسخة في الجريمة.

قيل إنه صوب رصاصة قاتلة باتجاه رأس البراق الذي حمل محمدا مثل طائرة نفاثة بمحرك خارق إلى صحاري السماوات السبع.

قتل البراق بسبب اختلاس شجرة معمرة مملوءة بثمار شتى من بستان الله.

وقد أعمل كبير الملائكة النار في جثة البراق ثم وقع ذر رماده في حانة أنيقة يرتادها شياطين تشبه الكناغر في قفزها الكوميدي المكرور وعدد من الشعراء الملاعين.

وظل الله حزينا متشنجا لوقع هذه الفجيعة لأن خلق البراق ليس بمهمة سهلة للغاية لقد أنفق وقتا طويلا في خلقه وتربيته وتعليمه

ليكون سلسا مطواعا جديرا بزيارة

الأرض وسحب الأنبياء إلى الأعلى بسرعة قطار ياباني حديث.

حزن الله مدة أربعين يوما وحلقت الملائكة رؤوسها المخملية

وامتنعت عن الطعام والشراب والمجامعة زهاء سبعة أيام.

بينما وقع القبض سريعا على الملاك القاتل من قبل ميليشيا مدربة على تعقب المجرمين الخطرين.

ظل الملاك قابعا في غيابات السجن شاتما العناية الإلاهية ساخرا من مؤخرات الملائكة المكتنزة.

البراق اللعين ليس إلا لصا ماكرا مخادعا شريرا سارق كنوز المخيلة

ومطاردا لنوارس اللاوعي في جزيرة الحقائق الكبرى.

كان الملاك يستمني في زنزانته قادحا زناد مخيلته لإسكات زئير شهوته المفترسة نادبا حظه السيء مستحضرا صورة زوحته الجميلة التي إغتصبها أحد مسلحي الغرفة الإلاهية وقتلها بكل برودة دم دون أن يتعرض لأذى أو محاكمة.

بينما تم اعتقاله بطريقة قروسطية

لما فتح النار على حيوان إنتهت مهمته بسبب السرقة الموصوفة.

حيوان مجنح له خمسمائة قضيب سوداوي يخطف الملائكة الصغار ويعتدي عليها بالفاحشة ودق أعناقها بحجارة من سجيل.

لم تتمكن شرطة الأنتروبول من إعتقاله والزج بي في قاع السجن.

وبدلا من الإحتفاء بي وتمجيدي لأني قتلت هذا الكائن غريب الأطوار الذي يدعي السفر إلى الأرض وحمل أحد مجانيها الكبار إلى فضائها الخارجي.

ذات مساء بعد إعدام سبعة ملائكة متهمين بالقرصنة وتبييض الأموال وتهريب الممنوعات.

مرت أفعى أمام زنزانة الملاك .

ناشدها بنبرة شاعر ملحمي سردا فضائلها وفذاذتها في حبك المؤامرات والإطاحة بأعتى الزناة.

رقصت رقصة وثنية باذة ثم أخرجت مفتاحا برونزيا من جيبها. فتحت باب الزنزانة واختفت.

فر الملاك المذعور كأحد أبطال ألف ليلة وليلة . لم يره أحد.

الله وملائكته وكل سكان المخيلة متورط في سبات عميق.

- **صانع الحياة**

حجرة قذرة مخيفة مليئة بصور مخلوقات غريبة. ملائكة تجر عربات حديدية ملآى بشواهد القبور , حيوانات برؤوس بشر , وطيور لها سيقان زرافات, وأجنحة غزيرة غريبة ,وهياكل عظمية متنوعة.

فاجأته وهو غاطس في خلوته يتفحص جمجمة من العسير جدا الوقوف على حقيقة إنتسابها لأنثى أم لذكر .

لم يتجاوز العقد الثالث طويل مثل حبل المشنقة. نحيل وأحدب كما لو أنه الكونت لوتريامون في حفلة جنائزية مريعة.

لا تيأسي يا جمجمتي الغالية. سأنفخ فيك من روحي وأعيدك إلى عالم الكون والفساد.

لن أطيق موتك وسكونك ولا شيئيتك الآهلة بصفير العدم.

أنت جديرة بوجه إلاه أبدي لا يقهر.

كان يرتدي قناع شيطان رجيم.

دفن ساقه اليمنى منذ انتحار ساعي البريد في الكاتدرائية المجاورة . صنعوا له ساقا خشبية تشبه مجذاف قارب فرعوني.

ها هو يتمتم وتحلق كلمات غامضة في الحجرة تطفر مذعورة من شفتيه المتورمتين.

ح ي ا ة . ح ي ا ة . ح ي ا ة .

ع و د ي . ب . إ ذ ن ي . ب . ق و . ة . س ح ر ي .

وضع الجمجمة في إناء نظفه بفرشاة أزال طبقة الغبار الذي يطوقه ألصق عينين نابضتين في محجريها إختلسها من جسد إمرأة حديثة الموت.

لاتنسوا أنه كان مولعا بنبش القبور وسرقة أعضاء الأموات.

لم يكن يتاجر بها بل كان يخبئها

في ورشته المعزولة في دوارق من السيراميك.

رائحة الدم والجثث والفناء تضفي على المكان ميسما تراجيديا عميقا.

وضع مكان أنفها أرنبة أنف مهرج سفسطائي. وأدخل طاقم أسنان في فمها الأدرد. راسما بالقلم الأسود حاجبين رقيقين. واعدا إياها بزرع شعر غجري آسر الأسبوع القادم.

كان ضوء المصباح خافتا جدا.

تتسلل عناكب عدمية من عينيه الغائمتين. وإيقاع أمواج متكسرة تضرب قارب هواجسه الكثيفة.

الآن إنتهى كل شيء . الآن أتممت عليك نعمتي وعما قليل ستعودين إلى الحياة. وكذا نتخلص من شأفة الموت والخراب.

الأشياء الجميلة لا يجب أن يطالها الفناء في ملتي واعتقادي .

الموت هو ذئب مخصي يعدو وراء ضحاياه منذ البدايات.

أنا صانع الحياة وباعث الموتى من الأجداث.

أنا الإلاه الذي سيسر العالم من فتوحاته الخارقة .

- **حشرة كافكا في زمن الكورونا**

إرتعدت مفاصلي بعد ركلة مروعة من حوافر الشك الجامح كما لو أنه ثور مجنح يهشم أقفال الرأس بمرونة فائقة ويصب بنزين الأسئلة في قلعة الرأس المسيجة بأليغوريات معقدة ثم يضرم النار

في برديات الروح الهادئة.

لم أسلم من عضة النهار السامة المكرورة. حيث تتناسل خفافيش بشرية قرمة مهووسة برائحة الدم وشن روائح جحيمية في الأرجاء. أنا إبن الليل الشرعي. صديق النجوم السائرة نحو تخومات المجهول أرتاد المقبرة المجاورة لبيتنا المتواضع لأمارس فن السحر في خلوة مطلقة لا تشوبها شائبة.

أتهجى شواهد القبور القديمة وأستحضر هيئات ذويها وأظل أتحاور معها مستبطنا إلماعات خواطرها ومستدقات أحاجيها ومغاليقها حد إنفراج غيمات الروح المتراكبة وإشعاع أشياء غريبة أمام باصرتي كأنها صرف اليقين الأقصى.

نمت هذه الليلة في شرخ عتمتها الباذخة بعد يوم عصيب وحرب شعواء مع الأبالسة المسلحة بأعتى ترسانة الشر والسخيمة.

لم أستسلم البتة. لم أنطو على نفسي. مثل جرذ قميء. قطعت رؤوسا كثيرة.طاردت ثعابين زنخة

موقنا أن الحرب ضرورة تحتمها أحيانا شرانية الآخر ليس لنا من خوض غمارها بد.

في آخر الليل أحسست بامتلاء في مثانتي. حاولت إفراغ هذه الشحنة البيولوجية ولكن لم أفلح. لم تكن الأمور سلسة كعادتها.حاولت أن أتحسس عضوي الذكري ولكن لم أعثر عليه حاولت الصراخ ولكن صوتي تبخر مثل غيمة في غلواء العمر. أصابني ذعر شديد وأدركت أخيرا أني تحولت إلى حشرة كريهة بيد أني لم أزل أحافظ على طاقة التفكير والتحديق في كبريات المسائل الوجودية.

حشرة قميئة شاذة تختزن داخلها عقلا ألمعيا نزاعة تفكيرا واستغوارا لبكر السبيل.

ظللت واجما والذعر يتطاير من عيني الجاحظتين.

دخلت أمي صباحا كعادتها حاملة صينية الفطور ولكن ما إن رأتني على تلك الشاكلة حتى إعتور الوهن أغصان أعصابها وسقطت الصينية من يديها المرتجفتين .

حدقت في تفاصيل وجهي المليء بالكدمات ثم سقطت مغشيا عليها.

كنت أشاهد هذا السيناريو التراجيدي مكسور الخاطر غير قادر على تجاوز هذا الشرط الكوني الضاغط.

فكرت في مساعدة أمي وإيقاظها غير أن جسدي لم يستجب لهذا الفعل الذي يستميز به البشر.

أنا مجرد حشرة مفكرة غير قادر على ترتيب الأمور والقيام بواجباتي اليومية.

وعلى غرة غشي أخي الأكبر حجرتي واستطاع أن يوقظ أمي المصدومة المتشققة.

كنت أراقب هذا المشهد الحزين بصمت عاجزا على النطق وإفراغ مكنوناتي كأن جلمودا من الصخر الصلد قد وقع على كلكلي الهش.

–قالت الأم : ماذا سنفعل بهذه الحشرة البائسة ما مصيرها وما جدواها هنا؟.

– قال الأخ الأكبر : سأسحقها بجزمتي العسكرية وهكذا نتخلص منها إلى الأبد إذ لا فائدة ترجى من وجودها ستجلب لنا العار والفضيحة . قالت الأم تريث حتى نصغي إلى رأي أبيك حيال هذه الحشرة المقززة.

تناهى إلى مسمع الأب ما دار من حديث بينهما إذ تقحم الحجرة مثل ثور هائج فهاله مشهد إبنه وقد تحول إلى حشرة مدرعة ذات سيقان غزيرة وعينين براقتين تثير الغثيان.

أطلق صرخة مدوية ما هذا الكائن الشيطاني المشوه الذي تلبس إبني؟. ماذا ارتكب حتى تعاقبه الآلهة وتنزله منزلة وضيعة خسيسة لا تليق بشرطه الإنساني.

ثم أردف قائلا : لعل لجذور هرطقته سببا منطقيا في تحوله وسقوطه في فخ الأدنى من المخلوقات.

قال الأخ الأكبر: إنه ما فتى يطالع مصنفات الملاحدة ويتشبع بمقولاتهم ومفاهيمهم وآليات تفكيرهم. إنه شديد السخرية من الكتب السماوية ساخرا من مضامينها ويعدها ضربا من الأساطير التي إجترحتها مخيلة شعرية ملتاثة. إنه لا يؤمن بالحساب ولا العقاب والخوارق .

أذكر أن له نصا شعريا يسخر فيه من سورة الإسراء والمعراج ويعد البراق أروع كائن أسطوري على الإطلاق.ومآخذه على الأنبياء

مثيرة جدا.

قالت الأم لذلك كان كثير الخلوة مستنكفا من معاشرة الآخرين معتبرا إياهم شرا محضا.

قال الأخ الأكبر : هذا لا يفيدنا في شيء.

لأدهسه مرة واحدة ونرح أعصابنا

من حرائق هذه المحنة التي وقعنا فيها.

قال الأب سنعامله مثل كائن هش جدير بالشفقة والرثاء.

ثم تسللوا خارج الغرفة صافقين الباب وراءهم.

حزنت حزنا شديدا لحدة الحوار الذي جد بين أطراف العائلة وبكيت بكاء مرا مستبطنا أسباب هذا العجز الوبيل الذي حاق بي وجعلني فريسة سهلة أمام سهام الآخرين

بمقدور كل إنسان أن يقلب لك ظهر المجن بمجرد سقوطك في شرك العجز واللافاعلية.

- **اللص الطيب.**

الولادة غربة وعبث مكرور والجسد مأدبة لديدان الفقد القرمة وفي آخر النفق يد غائمة تلوح للعابرين.

ونباح متقطع لكائنات غير مرئية.

بعد رحيل جميع العائلة لم يبق غير(م) وقرده الذي يقاسمه العيش تحت سقف واحد.

قرد مبهر له قدرة فائقة على إدراك الأمور واستيعاب الإشارات الخفية لتقاطيع وجه صاحبه بله صديقه الأثير.

(م) قطعت ساقه اليمنى في حادث مرور وضعف بصره بحكم داء السكري ولم يعد قادرا على كسب قوته اليومي.

وقد ازدادت الأمور تعقيدا بغزو جائحة الكورونا وإشاعتها لأضرب من الكوابيس والقلق الوجودي الضاغط في محيطه الخارجي.

وصار الناس يخفون المؤونة ويتقاتلون من أجل الحصول عليها

خوفا من براثن المجاعة والموت المحدق بهم من كل صوب وحدب.

غار جوهر الإنسان في تلافيف أعماقهم.

الناس لا يحبون الموت بجائحة الكورونا وكم كان لمشهد المحارق التي أقيمت للموتى أثر مروع في أنفسهم وتلوينها بميسم سريالي بحت.

لم ينسوا مشهد مطاردة الجنازة في عالمنا العربي القروسطي.

ومحاولة طرد الميت من المقبرة وحرمانه من نوم أبدي في رحم الأم الأولى الأرض التي لم تجأر يوما واحدا من قسوتنا وجشعنا وتوحشنا وحججنا الواهية.

الناس تحولوا إلى قطعان نمور وأفكارهم إلى طفيليات غثة. وأرواحهم إلى خفافيش بائسة.

العالم في مأزق فيروسي خانق.

لذلك كان (م) كلما مسه الجوع وسيطر على حواسه المتهدلة يسرع إلى القرد الذي جلبه الأب المتوفى من أحد القرى النائية.

يخاطبه بلغة الإشارة

– صديقي الغالي إني على حافة الهلاك وليس بمقدوري فعل أي شيء لطرد شبح الطوى.

طفقت العتمة تدب في أوصال المكان تخلع على العالم ثوبها الكابوسي الرهيب.

جيراني سيئون للغاية ولم يحدب أحد علي ولو بنصف رغيف.

يحدق قرده الذكي في أوراق وجهه المتساقطة مصيخا إلى نأمة روحه الجريحة وكأنه يقول

– نعم يا مولاي إطمئن سأوفر لك كل شيء.

– ألم تعاملني معاملة الأب لإبنه قبل مرضك الوبيل؟.

– لا تقلق لقد قرأت ما يتبدى من إشارات في عينيك المائلتين إلى دكنة غامقة.

–سأفعل كل ما في وسعي لإنقاذك

واستئصال شأفة ذئب الجوع المسعور.

يقفز القرد بخفة ورشاقة كما لو أنه في أدغال إفريقية يجوب أسطح البيوت ثم يباغت أصحابها على غرة فيختلس ما لذ وطاب من الطعام لصديقه (م) الذي تلقى آخر رصاصة من قناص شرير لا يرحم يسمى جوعا.

من الممكن أن تكون علاقتك أروع وأمتن مع كائنات نعدها في غالب الأحايين مهرجة وغير قابلة لاكتساب خبرات عالية وليست جديرة بصداقة الإنسان ومعاشرته

والإحساس بإيقاع هواجسه الداخلية الغامضة

- **الجريمة**

رغم انطفاء مصابيح النجوم, واستدقاق روح العتمة الشفيف, لم يزل الحصان يقطع الممر الجبلي المسيج بأشجار الكاليبتوس العملاقة يسوسه حوذي عارف له دراية جيدة بالمكان ومنحدراته اللولبية الضيقة.

الخفافيش تمرق مثل الهواجس في الهواء.

أوركسترا البوم الدوق الصغير تدوي من بعيد في جنائزية مروعة.

تبدو العربة الخشبية كما لو أنها غيمة داكنة ضائعة في الأفق.

يتحصن داخلها رجل أشيب بنظارات سميكة تبطنان عينين شبه شريرتين وأنف معقوف ولحية منسدلة على صدره.

وقامة تشبه صنوبرة في عز شبابها.

الذئاب تطلق عقيرتها المحبطة والمتقطعة باتجاه العربة .

الحوذي يلهب ظهر الحصان فيزداد عدوه ويمسي لإيقاع حوافره أثر عميق في النفس لا تنمحي معالمه.

بعد زهاء ساعتين ونيف أوقف الحوذي عربته التي مزقت سجف العتمة واستفزت سكان الجبل الليليين.

هبط الشيخ المتطبب مثل ملاك رحيم من السماء السابعة.

هرع إليه لفيف من الأناسي آملين إنفراج الكربة وزوال الشدة.

فتحوا الباب أمامه فهاله مشهد البنت الجميلة ذات العقدين وهي تتخبط مثل أفعى داستها شاحنة مجنونة موغلة في هذيانات ملغزة.

أخرج من سترة جيبه مفتاحا خشبيا قديما يبدو كما لو أنه لكنيسة قروسطية مهجورة .

وكتابا رثا أصفر اللون يشبه (كتاب الأموات)وجيء له بهراوة كما أمر لطرد الجني بالقوة إن لم يخرج من جسد البنت بسلاسة.

أمر الحاضرين بإطفاء المصابيح الكابية والسقوط دفعة واحدة في بئر الصمت ليزاول عمله في الصمت والهدوء المطلق.

والتثبت من هوية الجني الذي يسكن جسد البنت المصروعة.

بما أن العائلة يئست من مقاربات الأطباء المسطحة وتآويلهم المتضاربة وأدويتهم التي لم تؤت أكلها إطلاقا حسب رواية الأم.

بيد أن الأخ الأكبر للبنت العليلة كان كان رافضا رفضا كليا معالجتها بهذه الطقوس البدائية المتحجرة ولكن لم يلق آذانا صاغية فاكتفى مثل غيره بالمشاهدة والترقب.

أغلق الشيخ باب الحجرة وراءه.

وراح يرتل أليغوريات معقدة لا يستطيع نعومي تشومسكي تفكيك تركيبتها الدلالية ولا استغوار ظلالها الكثيفة وأسرارها الصفيقة.

ومن حين إلى آخر يحدث قرقعة كما لو أن نيزكا ضائعا سقط في الحجرة فتهتز مفاصل الأم خوفا على ابنتها من شر يحيق بها.

بينما كان الشيخ في ذروة نشاطه الجنسي. كان يداعب نهديها ويقبل فمها المفتوح ثم يرمى يده في جرحها ولما استوت رغبته المشبوبة على سوقها ارتمى فوق جسدها الهش وفعل فعلته الوضيعة غير آبه بقيم أو مبادىء.

ولم انتهى من مهمته الإيروسية أمسك هراوته بيد متصلبة وشرع في رشق البنت بضربات متلاحقة

إلى أن خارت قواها واستسلمت لإيقاع هذه الكوميديا السوداء.

لقد فارقت الحياة بينما الشيخ مفرط في عدوانيته في انتظار خروج الجني الجامح.

ساد الغرفة صمت القبور وأيقن الشيخ أنه ارتكب جريمة قتل مروعة . فتح الباب وخرج باكيا متضرعا مدعيا أن الجني قتل البنت وليس هو.

بينما أثبت تشريح البنت تعرضها لاغتصاب وتعنيف فظيعين.

- **كورونا**

إختفت النجوم وراء أكمة من الضباب الكثيف.أيقظته رقصات الفلامنكو التي يمارسها المطر على زجاج النافذة . فتح الأحدب باب بيته الخشبي الشبيه بغطاء تابوت قديم. كان يضلع مثل إوزة مسنة.

إمتطى عربته التي يجرها حصان

من القرون الوسطى واتجه نحو الماريستان لجلب جثة أحد جيرانه الذي مات بفيروس الكورونا الذي سيحصد أرواحا ثرة في بداية هذا القرن الوبيل بما أن ثمة إضرابا قام به عمال محطات بيع البنزين.

الحصان يركض مثل أرملة وراء نعش. الأحدب ذو العينين الضيقتين يكاد يسقط من العربة المتلعثمة الإيقاع.

منذ خروجه من بيته لم ير أحدا من البشر كعادته كل يوم. لم ير غير قردة بدائية تملأ الشوراع والحواري ليس ثمة سيارات ولا قطارات ولا درجات نارية.

قردة تتقاتل وتتراشق بالحجارة.

شرطى ملقى على الأرض ملطخا بالدماء. حاول أن يدحض حجج عينيه العميقتين ولكن لم يفلح.

صدمه مشهد تراجيدي جارح لما رأى كوكبة من القردة مسلحة بالعصي والهراوات تقفز من سور البرلمان وتطلق زعيقا مخيفا يثير التقزز والإحباط.

ورأى كراسي مهشمة مقلوبة وعيونا عمياء تنز بالدم على أضابير مضرجة ببراز الكهنة.

واصل طريقه إلى الماريستان لجلب الجثة بأقصى سرعة ممكنة.

إعترض طريقه قرد ملتح يبدو متشددا منقبض النفس قصير القامة له ذيل معقوف يرتدي نظارات سميكة.

سدد نظرة حادة للأحدب المصدوم

محاولا إسقاطه من عل دون سبب منطقي.بيد أن الأحدب لكزه بسرعة فائقة بسوطه فوقع أرضا

مجلجلا شاتما أصل البشر .

الطريق ملآى بالقردة.

المواخير والحانات وقصور العدالة

والسجون وساحة الحكومة.

إختفى النوع البشري وحل محله شكل زنخ من القردة التي تتقاتل طول اليوم محدثة الفوضى والإضطراب.

واصل الأحدب السير قدما ولما بلغ باب الماريستان وجد الجثة ممزقة يتقاسمها عصبة من القردة والدم يتطاير في الهواء.

وعلى غرة إنقضت القردة على الحصان المسن بينما لاذ الأحدب بالفرار.

- **القطة السوداء**

الشجرة المعمرة العمياء تتحسس بأصابعها الطويلة المغضنة المتشابكة زجاج النافذة التي تشبه نافذة مظلمة في كنيسة مهجورة.

لتوقظ(ن) كما لو أنها أم مسكونة بسحر الأمومة الأزلي.

شجرة وحيدة حزينة تقف على ساق معقوفة إختفت عصافيرها في مكان ما من هذا العالم. قد تكون الأسباب ملغزة شائكة.

هذه الشجرة شهدت جنازات كثيرة في هذا البيت المتداعي.

وقاسمت أهاليها الحلو والمر.

لم يبق الآن أحد غيره . ماتوا جميعا بوباء الكورونا بعد هجمتها الشرسة على بني الإنسان.

حتى القطة السوداء التي كانت تؤنسه آناء الليل وأطراف النهار نفقت منذ أيام يبدو أن رئتيها أصيبتا بجرثومة مستعصية لم يقف على حقيقة جوهرها جهابذة البياطرة.

جائحة تصيب القطط كل مائة سنة كما يتداول لدى كبار السن.

تشبه جائحة الكورونا.

وثمة فرضية أخرى قد تكون مساوقة للحقيقة وهي وضع مادة سامة في غذاء مغر قد أودى بحياتها من قبل أحد الجيران الذين يكنون حقدا دفينا للحيوانات المنزلية وهذا متداول لدينا وبخاصة في الأحياء الشعبية التي لا تقيم وزنا لهذه الكائنات التي لا تعترف بكثافة الجدران وتنهد أحيانا إلى اكتشاف وغزو منازل الآخرين.

كان (ن) حين يختلي بنفسه يقلد مواءها المتقطع بشكل مذهل ويناديها بعبارات لطيفة كما لو أنها لم تزل على قيد الحياة.

حبيتي تعالي ها هي سمكة لذيذة في انتظارك.سأختار لك شريكا يليق بفخامتك. بجزالة طبعك المرن وروحك المتوهجة.

سيكون قطا فحلا قادرا على تمزيق بكارتك في رمشة عين.

ستحملين بسرعة فائقة وتنجبين قططا على قدر عال من الجمال والذكاء والخفة والرشاقة.

لكن القطة لم تكن حاضرة إلا في مخياله الشاسع.

بينما كان يجلس (ن) على كرسي خشبي رث غاطسا في تأملات لم يجن من ورائها غير مزيد من الأوجاع إذ غزاه صوت نابع من قاع عميق لا ضفاف له.

قطتك لم تنجب ولو فأرا ضئيلا

برغم عهرها وميلها إلى ممارسة الجنس مع قطط شتى .

ألم تنكمش في غالب الأحايين وتتضاءل حد إستحالتها إلى قطعة من البلاستيك أو قطرات من الزئبق لتمرق من شقوق الباب المليء بالتخاريم والشقوق.

لتمنح جسدها البض لأول قط وافد من الخارج ولو كان أفظع لص في الحارة. المهم أن يتسلق مؤخرتها ويطلق رصاصاته في أستها الحارق.

وهكذا يتداول عليها الغرباء من القطط اللقيطة دون مقابل.

وبرغم هذا لم تكن تفارق البيت طويلا.تتكوم مثل كرة من قماش رديء زائغة العينين مشبعة بنعاس عارم مأخوذة بمغامراتها الجسدية المكرورة.

يرتمي (ن) صوته مثل قطعة معدن في الحجرة الضيقة.

أنت تشبهين أمي تلك المرأة البائسة وهي تتخبط تحت كلكل الثور الشهواني الأهوج زوجها الثاني الذي اختلس ما تبقى من مشمش شبابها بعد هروب بعلها الأول إلى مدينة الضباب.

حين كنت أنام تحت سريرها الكلاسيكي مثل ذكر حمام مذعور.

مصغيا إلى تساقط الآهات على رأسي الصغير وصراخ حلمتي ثدييها بين مخالبها. مصغيا إلى زلزلة السرير وعواء العضلات وصفير الشهوة المتوحش فأتحسس عضوي الذكري موقظا وطاويط كهفي السفلي منتشيا بأنين الكمنجة الغريزية التي تنبعث من مفترق جسدين يتلوان قداسا فخما في كنيسة الروح المكتظة برائحة الخبز والنبيذ. رائحة الصلصال المحترق وأزهار الأكاسيا.

لقد اكتشفت تفاصيل جسدي تحت سرير والدتي في أعماق الليل حين يحمحم جسدها في غابة اللذة المترامية الأطراف مناديا الحصان الجامح الذي يقاسمها السرير.

وفي هذه البؤرة الموحلة انطلقت مهرة عادتي السرية لتكون جزءا ضروريا حميميا في حياتي المهزوزة.

إن (ن) لا يهاب الأوبئة ولا يخاف الموت لأن علاقته بالأشياء فقدت طعمها ولونها وجوهرها.

هو مثل قطته السوداء لم يتزوج ولم ينجب بيد أن له علاقات كثيفة بنساء كثيرات ما فتئن يشبعن نوازعه الداخلية المشتعلة.

لقد تعفنت روحه وشاخ جسده وها هو ينتظر قدوم الموت على جواد بطيء الخطى.

إنه آخر حبة عنب تحتضر ببطء في عنقود العائلة المندثرة.

- **ثلاث محاولات فاشلة لملك الموت.**

بلغ قمة الجبل رغم قساوة الصخور وكثافة الأشجار وسقوط المطر بشكل متقطع وظهور بنات آوى من حين إلى آخر.

هكذا كان مسكونا بارتياد القمم الوعرة موقنا أن الله قريب جدا من الجبال الشاهقة وبمقدوره أن يتجاوز شرطه المحفوف بالنقصان والمزالق ويرى الله جالسا على كرسي من الذهب الخالص محاطا بسرب من الملائكة والقديسين.

حينئذ يمكن أن يرفع عينيه الثاقبتين إلى أعلى شريطة أن يعقل عقله بحبل دقيق جدا لئلا ينفرط الكيس المليء بالأسرار.

في هذه البرية الشاهقة مزق نعيق الغراب الأجواء المكتنزة بالصمت فارتعدت قطعان حواسه.

وبفجاءة مربكة برز ثعبان عملاق مجنح أشيب مكسو بشعر كثيف تتقطر عيناه البلوريتان شررا.

زحف بخفة ومرونة وانتحى ناحيته.كانت نواقيس قيامية تتبجس من حنجرته الشبيهة بعامود من المرمر.

قال الثعبان للراعي لا تجزع أنا ملك الموت كلفتني العناية الإلاهية بقبض روحك.

لقد حاولت مرتين سابقتين طبقا لمرسوم إلاهي قبض روحك ولكن فشلت في ذلك فشلا ذريعا.

الأولى لما إنزلقت قدماك وسقطت من الطابق الرابع وشبت معركة فظيعة بيني وبين الحكيم الذي أشرف على علاجك وقد وفق في إنقاذك وتخليصك من مخالبي.

والثانية لما غرقت في مسبح وأنقذك سباح ماهر بسرعة قياسية.

وقد وجه الله لي إنذارا بعزلي وإعادتي إلى العمل مثل بستاني في جنته الغناء.

توسلت إليه بكل ما أوتيت من قوة بأن ألتزم بتطبيق القوانين

وأكون مستيظا على مدار الليل والنهار.

وهانذا اليوم في قمة هذا الجبل العظيم في أحياز هذه العزلة الوارفة سأقبض روحك وبذلك أكون قد أنجزت شيئا عظيما وأتخلص من عقدة الذنب التي ما فتئت تلاحقني.

لقد مسخني الله ثعبانا هجينا لتقصيري في العمل والتراخي الذي يعتريني من حين إلى آخر بسبب اللهو واللامبالاة والسفسطة.

هذه فرصتي الذهبية لاستعادة جوهري المشتق من معدن الذات الكبرى .

كان الراعي يكره فكرة الموت ويعترض على إنشائها وبخاصة قبل إنجاز أشياء مهمة.

حدق في تقاطيع ذؤابة الثعبان المرعبة.

أرجوك أيها الثعبان ذرني وشأني.

إن لي زوجة وصغارا هم في مسيس الحاجة لي ولم أتم بناء الجسر الذي أشرف على إنجازه.

وبذلك يكون شرف لي ولبني جنسي شرف تجاوز القوة إلى الفعل.وإسناد المعنى لعالم اللامعقول.

ضحك الثعبان كما لو أنه أمير مسحور.

وقد سخر من فكرة البناء والفعل.

وعد هذا ضربا من قش اليوطوبيا.

ثم أطلق دويا يشبه نفير يوم الساعة.

الثعبات : ستموت الآن أيها الغبي.

الراعي : مصطفقا مثل نافذة مشرعة.

لا أرغب في الموت الآن.

أجل موتي إلى يوم آخر.

الثعبان : أتسخر مني أيها الفاني المتغطرس.

الراعي : كلا يا مولاي.

وبينما إشتعل الحوار بين الراعي والثعبان.

قدم صيادون غلاظ شداد مصوبين بنادقهم إثر خنزير وارتفعت الجلبة إلى حد لا يطاق وهبت ريح عاصف فاختفى الثعبان داخل أغوار الجبل الرمادي ونجا الصياد من قبضته المحكمة.

- **الجذع الذي يخادع حواسنا ببدلته السوداوية .**

كل يوم

أتلو تأبينا بايقاع كنسي خالص لهذا الجذع المقهور..

جناز يسوعي تتحول فيه الكلمات الى حبال مستدقة لطيفة

تصل الصلب المتمرئي بأوساع المتعالي حيث الهواء رسول

قطعان ضوء تزرب من أقاصي قوس قزح الروح الى محكمة المطلق بينما ثمة عصافير غريبة تفلت من ظلال أصابعي بسرعة البرق مثل سعاة بريد الغيب واهبة كل شجرة مقطعا لذيذا من مطرزات جنازي اليومي..

تجاورنا شجرة ايروكاريا مثل ملكة أبدية تنفرد بطاقة خلاقة كما لو أنها ينبوع أسطوري مشبع بخضرة طازجة مبطنة صفة الديمومة في نسيج تركيبها الداخلي.

أحيانا نتبادل النظر بمرارة كما لو أننا متحدران من رحم واحد الى درجة الشك في عمق ماهية الآخر..

هل أنا ذاك الجذع المقطوع المهمل المكتظ بعواء الهامش

أم الجذع أناي الحقيقي التي طاله فعل الهشاشة..

أحيانا أحصي عدد الطعنات التي سددها لي الآخرون بفأس السخيمة..

بينما يتناهى الى سمعي صدى متلعثم..

أيها الجذع

هل أنا ظلك المتحرك في ضباب العالم.

هل أنا ذاك الأسير الذي يلعب بذيله السفسطائي

مهرجا الليل والنهار..

أحيانا يمسني أحد المارة اذ تنثال نبراته كحبات الرمال

على مرايا اللاوعي..

كم موجع ملمس هذا الجذع المليئ بالندوب والنتوءات..

هل أنت ذاك الجذع المقطوع

الذي ما عتم يقاوم جنازير الآخرين..

شبه خاتمة.

- **الضرب بالكلمات.**

كان أبي لا يضربنا بالكرباج عند ارتكابنا الهفوات وسقوطنا في فخ الشيطان.

كان يضربنا بالكلمات ضربا مبرحا بعد شحذها وايداعها مسامير حادة مقدودة من معدن الدلالة الجارحة. بينما أمي تقوم بتضميد بقع الكدمات الزرقاء المنتشرة على جلد الروح التي خلفتها لذعة كلماته الحارقة.

كانت عيونه تتكلم بقسوة وتلدغنا كأفعى مجلجلة حين نرتكب حماقة أو جريرة ما.

مات أبي في المهجر .

دهسه كائن ماورائي متوحش يسمى العزلة. ورحلت أمي مع أول عاصفة نسيان.

وهانذا أحاول اسقاط محنتي القديمة على الأشياء.

أحاول ضرب العالم بالكلمات

حتى تستوي الحقيقة على سوقها

أحاول ضرب الخفاش الذي يحلق في بحة صوتها

أطلق سربا من خراطيش الكلمات

لكن لم أوفق الى حد الأن.

أحاول ضرب ذبابة المخيلة بكلمة

طويلة العنق لتهدأ روحي من الدوران الممل لكن لم أفلح.

أحاول ضرب الموت على أليته

الموت الذي خطف كواكب عائلتي

الجميلة.

لم أزل أحاول حد الجنون .

- **الرجل الذي أكل جسده .**

الشمس مسدس عملاق بيد الرب.

رائحة الرصاص تغزو العالم .

الصيف في قريتنا مجنون يتعاطى الماريخوانا ويقذف المارة بالحجارة .

بيت حقير مزعج يقع في أقصى المدينة أ

كان جسد ب مليئا بفهود الشهوة.

عيناه تتدحرجان مثل كرتي نار موقدة باتجاه عضوه الذكري متحسسا هذه الكتلة المنتصبة مثل أفعى المامبا التي إكتشفها باكرا في غابة الجسد الكثيفة.

لم يتجاوز الخامسة عشرة.

لم يصلب عوده بعد لكن أصابته لعنة الجسد المليء بالأسرار والماورائيات.

عاد من المدرسة مثل قطار واعد مزدحم بالفحم الحجري. مختلفا إلى مرحاض البيت الكلاسيكي موصدا الباب وراءه بقوة مفاجئة كما لو أن قطيعا متوحشا من الأشباح يحاول إفتراسه. أخرج آلته العجيبة. أخذ يفرك عضوه تارة برومنسية عذبة وطورا بغلظة وشدة . كان يسحب مخيلته مثل بالونة ويضعها أمام عينيه المتلعثمتين مستحضرا صور البنات الجميلات المكتنزات اللائي

صادفهن في الباص أو في الشارع الطويل .

يده المرتعشة بأصابعها الخمسة تقاتل ثورا هائجا في حلبة الجسد.تتساقط شآبيب أنباضه على قرميد الصمت. صار يعلو ويهبط مثل سفينة مهددة بالغرق.تثغو روحه مثل شاة ضريرة. وحش صغير يتخبط في مرحاض. باحثا عن جرة العسل.

أخيرا إنفجرت قذيفة مروعة ولأول مرة من مدفع الجسد البرونزي. زخات من المني المتخثر مخلفا حريقا من اللذة النادرة. إرتخت أعصابه مثل شفتي عجوز . تحولت ساقاه إلى ساقي لقلق متأهب للطيران.

بينما إحتلت تقاسيم وجهه موجة عارمة من الفرح الذي يضارع سعادة المكتشفين الكبار لأسرار الطبيعة .

لقد فك شيفرة جسده المعقد . إكتشف الحديقة البابلية.

مباهج الطين الخفية. صار يأكل جسده كل يوم يقضم أطرافه مثل سنجاب أحمر .

وبمضي الوقت غير طريقة بحثه وتنقيره عن شعاليل اللذة. إغتدى يجامع صور الحسناوات . يختلي بنفسه بعيدا عن أعين المتطفلين

يرشق عينيه المتعطشتين في تفاصيل تلك الصور الجميلة المستفزة. يخرج عضوه البائس. يعصره بأصابعه الخمسة وما إن يتحول إلى قطعة حديدية بيد حداد ماهر حتى تنفجر بمادة متخثرة وينفتح باب اللذة على مصراعيه. ظل هكذا سنوات قليلة

ثم إكتشف طريقا أقل سريالية لاكتشاف ثمار الجسد. طريقة ملتصقة بالواقع المحسوس.

صار يعدو وراء الدجاج والقطط مثل ثعلب ماكر وكلما إستفرد بقطة شقية ممتلئة الأرداف زرقاء العينين صالحة لعشائه الجنسي يوصد باب حجرته ويفتح المذياع

عاليا ليشتت إنتباه الآخرين.

يشرع في مداعبتها كما لو أنها إمرأة مسحورة يغدق عليها من وجبته الشخصية مقبلا جبهتها المكسوة بشعر أشقر متلامع.

يخرج عضوه بينما خصيتاه تصرخان مثل بطتين مذعورتين.

يحك أستها بدهاء . ولما تصدر إيقاعا غامضا يصفعها لتكف عن الصراخ. ويظل على تلك الحالة بضع دقائق إلى حين انفجار بركان اللذة ثم يفتح النافذة ويرمي القطة المهوشة الشعر لاعنا سلالة القطط وأمها القحبة التي تمارس الجنس مع جميع ذكور القطط.

كبر ب مثل وعل جامح تزوج مرات أربع لم يفلح أبدا في بناء عش عائلي هادئ يسوده الحب ولطف المعاشرة. لازمته تلك العادة لزوم ما لايلزم . صارت جزءا لا يتجزأ من نسيجه الداخلي.

كان يضاجع زوجته بفظاعة وتوحش . يقيد يديها بحبل يضربها ضربا مبرحا بكرباج ثم يدخل قطعة من الجزر في مهبلها. .تظل تصرخ كما لو أن إلاها شريرا سيخطفها إلى عالم مجهول. ولما تقذف قطرات من البول ويغمى عليها يخرج عضوه المنتصب مثل أيام منتصف الشهر في عالمنا العربي البغيض.

يظل يضغط عليه كما لو أنه يضغط على مصباح علاء الدين.

إلى حين هبوط مكوك اللذة من سماء كينونته الوسيعة.

ثم يتمدد بجوار زوجته شبه المحتضرة. هكذا فعل فعلته مع نسائه الأربع.

وهاهو يقشر ما تبقى من أيامه في عزلة موجعة بعد فرار نسائه من جحيمه اليومي المكرور.

بيد أن ب رغم عزلته لم ييأس من التخطيط الذكي لإشباع نوازعه المتوحشة.

كان يعمل حارسا في إحدى المستشفيات. ولم يتفطن أحد إلى رغبته اللجوجة في جلد جثث النساء المتوفيات والإعتداء على حرمات أجسادهن.

أخر الليل يطلق سعالا مخيفا متجها إلى بيت الأموات ليفترس جثة فرت من عالم الكون والفساد إلى سعة الأبدية.

يفتح خزانة الأموات متلذذا برائحة الجثث وأوركسترا الصمت العدمي. يحدق في تفاصيل الجثة التي يخرجها بلهفة شديدة .

إسمها م لم تزل طازجة تحدق في عينيه المغرورقتين بهدوء باذخ كما لو أنهما عينا متصوف وامق. يجرح نهديها النائمين بشيفرة حلاقة يقطع جزءا من لسانها ويخفيه في سترة جيبه.

يدخل سبابته في فرجها مزمجرا

ٱصحي أيتها القحبة واخبريني كم مرة جامعك ثورك الأنيق ثم ينهال عليها صفعا ولطما متوعدا إياها بسمل عينيها وقطع أصابعها العشرة.

يخرج عضوه ويحك شفتيها المطبقتين إلى حين إنفجار مجرة اللذة بين فخذيه الشبيهين بقائمتي ذئب ملعون.

وبحركة هستيرية يعيدها إلى الخزانة شاتما كل نساء العالم.

- **اليربوع الذي سرق عينا آدمية.**

ثلاثون سنة ونيف

كل سنة حزمة من المسامير التي صنعت في ورشة الشيطان..

صار يتقن لغة المرايا المتحولةذات اللغة الزئبقية المشفرة..

لقد شهدت المرآة تحولاته الفيزيولوجية والروحية والعصبية على مر عقود ثلاثة وهذا يعزى الى العدسة اللاصقة التي أساء استعمالها طوال شهرين محدثة ضررا فادحا في عينيه الكستنائيتن المشبعتين بخضرة خفيفة.. مخلفة آثارا جانبية مزمنة..

تعرت شجرة أهدابه وامتلأت حواف عينيه بالقذى الذي ما فتئ يتجدد باستمرار مذهل كما لو أنه خلية سرطانية خبيثة..

لم يجد بدا من اللجوء الى مرآته ليتأمل هذا العراء الذي خلفته العدسة اللعينة ..

عبثا كان يزيل القذى المتجوهر في أطراف عينيه..ليتجدد بعد سويعات..

اختلف الى أمهر الأطباء النطاسيين

في هذا الاختصاص لكن لم يتغير

شيئ .. باءت كل الأدوية بالفشل..

العدسة كانت وراء هروبه من معتقلات الجسد الى جسد شفاف خارق مليئ بالأسرار يسمى مرآة..

وقد تعمقت علاقته الأيقونية الأثيرة بها .. اغتدى كائنا مرآويا مهجوسا بالتحديق في تفاصيل عينيه اللتين صارتا موضع فضول الآخرين ..

كان يتوسل للمرآة أن تحول عينيه الي عيني الاه أسطوري خاليتين من الشوائب والمثالب ليقاوم خفافيش النهار التي تهاجمه حتى في غابة النوم المترامية الأطراف..

صار مولعا بالنظر الى كل شيئ ذي عينين..حتى الذبابة المهملة القميئة كانت مثار تأملاته العميقة..

–لماذا لا أملك نظرا ثاقبا مثلها..

وجناحين مدهشين يساعدانها على استفزاز أرنبة أنف الملك أو لسعة شحمة أذن المومس..

كان يرى استعمال النظارات ضربا من الحوب والمعرة وطفق بصره يغور مثل شمة في النزع الأخير..

كان لسوء استعمال هذه العدسة اللعينة التي غيرت مجرى حياته

وقلبت مفاهيمه رأسا على عقب..

انهالت على عقله طوابير من النيازك الهائلة محدثة تشققات فظيعة لا فكاك له منها..

هل ثمة حفرة عميقة داخل روحه?

كان يردد دائما أن روحه الهرمة كانت فيما مضى تسكن جسد يربوع أعمى لما دهسته شاحنة مجنونة ذات ليلة شتائية مرعبة

انتقلت الى حيز جسده الملعون

لما قذفته أمه مثل غوريلا متعفن في أحد المستشفيات ..

لكن لماذا يراوده احساس كابوسي بأن شيئاما ما عتم يجذبه الى سلالة اليرابيع صار يكره الأماكن العمومية ويأنف من معاشرة البشر

ويختلي في غالب الأحايين في المرحاض ..انه يجد راحة غريبة

داخل هذا المكان الشبيه بقبر متعطن .. يخرج مرآته.. يتأمل عينيه المتآمرتين اللتين دمرتهما

العدسة اللاصقة .. يمضي ردحا من الزمن مثل يربوع ضخم تلاحقه هراوات جحيمية وأشباح

هشة لأموات المذابح الطائفية..

ثم يدس المرآة في جيبه وينصرف

ثلاثون سنة مضت..

–ماذا فعل أطباء العيون ..

–لا شيئ..

لم تفلح وصفاتهم في تقليص هوة

الحزن التي خلفتها هذه العدسة الملعونة..

البائسة أمه نهرته مرارا ليستنكف من هذا الكائن الدخيل في عيني الجميلتين بيد أنه أصر على إيذاءهما بأصابعه التي تشبه مخالب يربوع هجين..

بعد زمن غير قصير اشتد حنينه الى استعمال هذه العدسة الكابوسية فتح عينيه المتهدلتين ثم أدخل هذا الكائن الغريب في حدقتيه ..

أحس بوخز شديد أضطر الى نزعهما بسرعة جنونية لكن هذه المرة لم ينزع العدسة بل قلع عينه

التي سقطت من بين أصابعه مثل

جرم زئبقي شفاف ليلتقطها يربوع

يترصد حركاته بدهاء مفرط متجها نحو المرحاض بسرعة نيزك .

- **أوركسترا ضفادع في بركة هامشية .**

وعد كبير الضفادع كل من صوت له بطحالب غضة وبطاقة علاج مجانية وزورق صغير من الذهب لقضاء عطلة آخر الأسبوع في احدى الجزر الفخمة واعدا اياهم كذلك بتخفيض هام في فاتورة الكهرباء والغاز والماء وطرد شبح البطالة من البركة..

وابرام هدنة طويلة المدى مع الطيور الكواسر..

أقام مدينة فاضلة على رمال مخيلتهم الهشة..

وبعد انتخابه رئيسا شرعيا لهذه الضفادع التي عانت من التهميش

والخصاصة والحرمان..

بعد أشهر قلائل ضم الى حزبه غربانا ملتحية شريرة زادتها المنافي والسجون غلظة في الطباع وحقدا وسخيمة على مجتمع الضفادع البائس..

تغير لون كبير الضفادع واتسعت عيناه الزرقاوان وضحكته المريبة.. وشيئا فشيئا تحول الى تمساح توجهه هذه الغربان الحاقدة الى حيثما تشاء..

نصب المشانق في عرض البركة..

منقلبا على عقبيه متوعدا كل مناهضيه بالويل والثبور..

استفحلت البطالة واللصوصية والأحزاب المتآمرة..

وتفشى الفقر والانتحار والتهميش

والظلم لذلك كلما عبرت ليلا بجوار

البركة يتناهى الى سمعي ايقاع حزين لأوركسترا جنائزية بقيادة فقراء الضفادع مثل عويل أرملة منكوبة في مقبرة .

- **البرباش**

تلعب الشمس بأعصابه كما لو أنها أفاع تتلوى داخل قبو من لحم ودم..

صحراء شاسعة تبطن في أحشائها

نفايات البشر على اختلاف أشكالها..

جحيم مهجور صنعه الانسان المتحضر ليدفن في مطاويه ما انعدم من أشيائه الأثيرة..

رائحة متعطنة جدا تثقب حواس الجن والانس خلعت عليها حرارة الشمس جرعات من سمومها الفلكية..تتماهى المتناقضات ..

هنا لا فرق اطلاقا بين الكلاب الضالة والقطط المخذولة أشباه البشر..

كل يشكل جزءا رماديا من هذه التراجيديا اليومية المكرورة..

هم قمح هذه النفايات التي تطبخه الشمس على أثافي أعصابها المشتعلة..

نساء سمراوات يتدافعن مثل عناكب أسطورية عملاقة بحثا عن

عشبة جلجامش..

رجال بدائيون يرفع أرواحهم المتهدلة منطاد السعال الى أمكنة عميقة مجهولة..

(أ) لم يتجاوز العقدين دهست أبويه جنازير آلة كبيرة جدا عادة ما تمشط مكب النفايات بالطول والعرض..

مخلفين عاصفة مدمرة من الفراغ العائلي..لكن لم يتسلل الى قاع روحه أخطبوط اليأس والعدمية.

ها هو ينقر وينقب مثل غيره من أشباه البشر عن القوارير البلاستيكية المستعملة وبعض الخرداوات لبيعها بأسعار تسعد روحه المتعبة و تقلص جرعات

الشعور بالانهيار الجسدي..

كثبان من النحل البشري يقطع فضاء المكب جيئة وذهابا لاختراع

ضحكة مجلجلة ما ان تقع أعينهم على شيئ ذي بال..

يطلق عقيرته (ب) : لقد عثرت على خلخال ذهبي قديم..

قال (ع) : انه خلخال عليسة فقدته في هذا المكان قبل أن تعمل النار في جسدها في حربها

الخاسرة مع الرومان الأشاوس..

زاد هذا الصراخ من حماس (ن)

لم يأل جهدا في البحث وعلى غرة عثر عل قطعة غامضة ملفوفة في قماش حريري مذهب..

تجمد مثل حية في غلواء الصحراء مخاطبا ذاته بصوت خفيض: يبدو هذا كنزا نفيسا كاتما سره سرعان ما حمل بعض القوارير الفارغة وقطع الخرداوات التي ظفر بها في رحلة الصيد والبحث عن فرائس معدنية في مكب النفايات..

وضع كل هذه الأشياء الثمينة وراء دراجته الصدئة التي تزعق مثل قرد أحمر في غابة مطرية..

انها دراجة مثيرة للغثيان تخلى عنها الشيصبان منذ الأزل..

وما ان بلغ بيته الشبيه بكهف غوريلا خال من أبسط مقومات الحياة حتى أفرغ تلك الحمولة واختلف الى دورة المياه لقضاء حاجة بيولوجية ملحة..

بيد أن صراخا متقطعا يصاعد من حجرته المظلمة لم يكمل حاجته وراح يفتش في حجرته عن مصدر هذا الصوت الغريب..

قلب أثاث الحجرة المهترئة رأسا على عقب..

أخذ يتعالى هذا الصوت المتقطع مرة ثانية..

اتجه الى حمولته ذات الرائحة المقززة التي ركنها في أقصى حجرته..

فتح تلك القطعة الغامضة الملفوفة في قماش لافت للنظر اذ برضيع ملطخ بقطرات دم جاف استعاد وعيه وراح يصيح بأعلى صوت .

البرباش كلمة عامية تونسية تعني النبش والبحث في مكب النفايات.

- **امرأة الثلج**

كلما تساقطت الثلوج سارع الأرمل الى جمع قوالب ذات نتواءت وأشكال بدائية ثم يشرع في نحت تمثال على هيأة زوجته الراحلة..

يتفنن في تشذيب ملامح وجهها كما لو أن روح فان غوغ قد حلت داخل جسده المنذور للفجيعة والنسيان.. ينظر اليها نظرة الأرض المتشوفة الى ساعي بريد المطر بعد جفوة عميقة وفي قلبه تشتعل جمره النوستالجيا..

يصعد سلم الهذيان الخشبي بمخيلة جريحة وقدمين يسوعيتين نالت منهما الكدمات والتشققات يسر اليها بايقاع قس في مأتم ملكي ساردا لها ما اعتوره من نيازك يتم وزلازل فقد وشدائد

لا يتحملها آدمي..

في تلك السنوات العجاف ..

سنوات سبع تبدو كزمرة من السعادين الراقصة على حبل المتناقضات..

أطفالك صعدوا مثل شلال من الكلمات المنكسرة الى عتمة الهامش..

قبعتك السوداء المعلقة على مشجب مكسو بطبقة شفيفة من الغبار..

صارت ملجأ آمنا لعصابة من العناكب المفترسة..

معطفك الجلدي الفخم استحال تابوتا ترقد داخله جثة عيد ميلادك الأخير..

جزمتك المائلة الى دكنة خفيفة استولت عليه جنية شقراء غالبا ما يصدر طقطقة تشبه ايقاع راقصة الباليه..

النوافذ تتدلى ستائرها المتهدلة مثل ألسنة شياطين نافقة..

سريرك الخشبي الضرير ينثر عواءه

الليلي تحت الوسادة المتكهربة..

الخزانة مثل فقمة تبادلني تهمة الفراغ الهائل..

الباب تطرطق مفاصله مثل صندوق الموتي على عربة في منحدر عدمي.

ظل الأرمل يطارد غزالة مخيلته المذعورة بأصابع مصطفقة ماسحا

دموع زوجته المتبجسة من عينيها الثلجيتين محاولة السير على قدميها الشفافتين ولكن لم تفلح..

عبثا تحاول أن ترسم ابتسامة حلوة على شفتيها الناعمتين الباردتين اللتين تعجان بالتخاريم

وعلائم العجز الوجودي..

تفر قطعان الغيوم كأطفال يترسمون خطى قوس قزح في مرتفعات الفرح الطفولي البكر..

تندلع جمرات شديدة الحمرة من مدفأة الشمس..

تشرع امرأة الثلج –منحوتة الأرمل

المقدودة من قوالب الثلج على ضوء مخيلة أسيانة هشة– في الذوبان ..

تتحول بدراماتيكية موجعة الى بركة دموع صغيرة مندفعة باتجاه مجرى الماء الوسيع..

بدت تطفو صورة زوجته الفقيدة

على سطح المحسوسات الغائمة آخذة في الذبول الفيزيقي والانديا ح التدريجي ..

منتقلة من أسيقة الوجود بالفعل الى مرتبة الوجود بالقوة ..

ها هي تتحول الى وهم يعشش في عمائق مخيلته الجريحة والمثقلة بالكوابيس والأهوال..

طفق الأرمل ينكمش مثل دودة القز في شرنقة اللامعقول منتظرا

مجيئ قطار مزدحم بقطع الثلج القطبية ليصنع قافلة من النساء الجميلات .. لملء فراغات عزلته اليومية الفظيعة بحضورهن وجمالهن الباذخ

- **طعنتان في المكان ذاته .**

السماء شبه منحنية مزدحمة بقطعان من الغيوم المتدافعة نحو المقبرة.. الريح عدوانية جدا مسلحة بكرابيج قدت من جلود التماسيح المسنة ما عتمت تجلد قطان الأرض بقساوة مفرطة.

غراب غريب يختلس عيني خالتي

المحدودبة كما لو أنها تبحث عن أيام طفولتها الأولى..

غراب نادر يتلو جنازا قروسطيا أعلى شجرة الصفصاف شبه المظلمة،،عينا خالتي الضيقتان مسمرتان مدقوقتان في تفاصيل هذا الغراب الطاعن في تغريبته العدمية..

المقبرة مسرح أبدي ممتلئ بخيرة الممثلين الذين آثروا منطق الصمت لغة عميقة جامعة مانعة..

قالت خالتي وهي قاب زفرتين من التبخر الكلي : كم يبعد قبر أمك يابن أختي?

–مسافة غيمتين من التفكير في علةالموت ومصير الأموات..

كان فمها الأدرد مثل كهف صغير

مكتظا بالأشباح ومشيتها مثل فقمة عضها قرش أرمل من ذيلها

المعقوف..

نحن باتجاه قبر أمي الرابض مثل ذراع مقطوعة في حرب عبثية.

سبقتني عيناي المرفرفتان الى الجلوس على هامش الشاهدة المائل لونها الى رماد داكن ..

وعلى غرة اعترضت سبيلنا عربة أموات قديمة .. ناداني سائقها بايقاع متسول لجوج..

– سأجتزأ دقائق من نسيج وقتك الثمين أستاذ،،

–على الرحب والسعة

فتح باب العربة القديمة المتهالكة

برفقة رجل تتطاير رائحة الجثث من عينيه العميقتين كما لو أنهما حفرتان لدفن ذكريات الموتى ..

سحبنا الجثة الملفوفة في قماش

أبيض يعج بالتخاريم..

جثة متفحمة ملطخة بالدم والرماد

والثقوب تنبعث من تضاعيفها رائحة تسبب الغثيان والقيئ والبحران كما لو أنها جثة هذا الواقع العربي الزنخ..

جلبها سائق عربات الأموات مباشرة من مستشفى الحروق والاصابات البليغة ..

لم تكفن ولم تبكها عين واحدة ولو عين سحلية متقوقعة سوى عيني أمها المتداعية مثل جدار منزلي مهجور..لاصلاة جنازة ولا تأبين ولا مجلس عزاء ..

دفنا الجثة أنا والقبار وسائق عربة الأموات بينما أمها العجوز تدلق كلمات في الهواء ساخنة مهشمة الأطراف والزوايا..

– لقد ذهبت ابنتي ضحية ظلم زوجها المقامر العربيد الذي ما فتئ يوسعها ضربا وشتما وركلا كلما هاجمه ذئب الفراغ والقلق اللامبرر في ظل دعم عائلته اللامشروط لسلوكه المشين..

عزيتها أنا وظلي الهادئ مثل قس

داخل كاتدرائية مهجورة بينما خالتي المسنة في انتظاري أعلى الربوة مثل شبح يتكئ على خيط وهم..

بعد أشهر قلائل عدت الى المكان نفسه –ولكن هذه المرة دون مصاحبة خالتي العجوز – لدفن زوجتي التي أعملت النار في جسدها ولم يشهد جنازتها غير كلب هادئ يشبه كلب شوبنهاور في مشيته الحكيمة وثلة من الأطفال و المتسولين .

- **الوحش**

بيت يشبه قلعة مهيبة مهجورة يتكئ على صدر تلة مسيجة بأشجار الكاليبتوس

الكثيفة خالعة على الفضاء الداخلي لصحن البيت الوسيع دكنة غامقة إلى درجة تخيله لوحة سريالة مثيرة للرعب لطخها فنان

بهستيرية مفرطة..لوحة رمادية معلقة مثل قلادة من عظام الموتى على صدر التلة الموحشة..

ورث هذا القلعة الصغيرة المشبعة بروح قروسطية مذهلة عن أبيه المشهور بتجارة المخدرات حيث كان الوارث الشرعي الوحيد لهذه التحفة الفنية الموغلة في سوداويتها المقرفة ..

كان(ش) كلفا حد الهوس بتربية الحيوانات الغريبة .. الأفاعي السحالى.. الذئاب..

الكلاب الضخمة المدججة بأنياب فظيعة..

يبدو مظهره مثل قس هادئا غارقا في نهر عميق من التأملات ولكن في الحقيقة هو على نقيض ذلك ..

إنه كائن شهواني عدائي سفاك..

مبشر بايقاع القتل المجاني..

مكتظ بضروب الحيل والشرانق ..

إنه عنكبوت سام وضخم يتخفى وراء قناع ملاك بريئ..إختلف (ش) كعادته إلى الملهى الليلي ليراقص الحسناوات الرشيقات يغريهن بالأموال وبابتسامة قس مزيف ..

يرمي شبكته السحرية التي حبك خيوطها من معدن ذئبيته الماكرة ويظل منتظرا فريسته بروح عنكبوت لا يمل الانتظار.. المهم أن يحصل على فريسة مشتهاة..

ليسكت نواقيس شبقه الداخلى الفوار..

هاهو يستفرد بقنيصة خلاسية

مشبوبة الملامح تتقطر عسلا وشهوة ..

ساقها مثل شاة عمياء امتطت سيارته الشبيهة بعربة الأموات الموسرين..تبادلا النظر بصوفية مرهفة.. أطلق ضحكة مدوية مثل قذيفة هائلة لم تقف على ما تبطنه من عواقب..سرد لها قصصا رائقة

عن الحمامة التي افترست صغارها

أفعى قرمة اندست إلى عشها في غيابها القسري بحثا عن الطعام لصغارها وكيف انتصر الطائر الكسير على الأفعى المتسلطة إذ فقأت عينيها بمنقارها فاندفعت من أعلى الشجرة إلى أسفل لتلتقطها هوام تجوب المكان بسرية مطلقة..

انه مبدأ الافتراس الحتمي .. العالم يفترس بعضه بعضا .. أحيانا تفترس الأشياء ذاتها بعذوبة باذخة..لقد خلقنا لنفترس ونفترس..

انها لعبة قذرة ولكنهالا تعدو أن تكون ضربا من الاقتضاء والضرورة..هكذا خلقتنا الآلهة لنكون قرابين لبعضنا البعض...

–قالت ببحة تتقطر طلاوة :

أنت فيلسوف يفسر الحقائق مشفوعة بسيل من البراهين الساطعة..

–قال معقبا: كل ما نفسره قابل للدحض والتفنيد..

ليس ثمة شي ثابت قطعي..

مثل النظريات التي تنقض بعضها البعض..

التهمت لسانها دفعة واحدة مثلما تلتهم الأفعى جرذا جموحا..

وغابت في أعماق غابة من التفكير

المليئة بقمح مجازاته واستدلالاته.

أهدى اليها أساور ذهبية سحبها من جيبه الأيمن..

إطمأنت قليلا وزالت رهبتها الغامضة بينما السيارة تطوي المكان بجنون وسط طبقة كثيفة

من العتمة ..

قالت: ما أروع قصصك الآسرة التي نفذت الى عمق روحي .. أنت بارع في سرد الحكايا..

رد باقتضاب : الحياة حكاية ضخمة ونحن الأشباح التي تملأ صفحات كتابها الأبدي..

قالت : جميل هذا.

قال : العفو أيتها الوليمة المقدسة..

لم تعي جيدا مغزى حديثه مسدلة زفرة عميقة على المكان كما لو أنها توجست شرا..

طمأنها مداعبا أرنبة أنفها بأصابعه

المشبعة برائحة القتلى..وبعد ربع ساعة ونيف تقريبا وصل الى قلعته المخيفة .. أطفأ محرك السيارة .. أمسكها من يدها اليسرى مترنما بأغنية ذات ايقاع دموي..

بصوت خفيض جدا..

أيها البيت الملعون

الخالي من ضوء الضمير

الذي تسكنه ملايين الأشباح

في الدهاليز السفلية

مثل شياطين تمارس لعبة الغميضة..

أيتها القلعة المكتظة بأرواح الأسرى النائمين على سرر الفجيعة

أيتها اللعنات الأبدية

أيتها الضفادع المخيفة

التي تغطس في حوض الشيطان

التي تأكل لحم القطط الساخن..

هانذا جلبت وليمة

لابنك الذي تدهسه العزلة في غيابات القاع..

وليمة لاسكات زئير الفراغ

أيتها السكين

كوني مهذبة أثناء الصلاة

وتقطيع الأطراف..

هذه وليمة لسكان القلعة المخفيين

نظر اليها نظرة نسر كاسر

وفجأة استل سكينه المقدس طاعنا فريسته طعنات متلاحقة في أماكن حساسة من جسدها المستسلم لقدره البائس..

جر جثتها مثلما تجر كلاب الاسكيمو زلاجة ثقيلة..

انتهى به المطاف الى المغسلة..

جلس على قائمتيه مثل وحش أسطوري .. أزال بعض البقع الدموية المتحجرة .. وبحركة عدائية استأصل عينيها الزرقاوين المغرورقتين بالدموع ثم ابتلعهما

مثل حبتي لوز..

حدق في وجهها مثل عقاب يتجسس على حال فريسته الهشة

صاح مولولا بلهجة خفاش غامضة

استيقظي الآن يا أميرتي..

لنرقص رقصة الأموات الأخيرة..

رقصة الفأس في تضاعيف الشجرة المتغطرسة..

رقصة فارغة من طعم المعنى..

رقصة يتحرر فيها الجسد من قبضة الأمكنة المتعفنة..

طوقها بذراعيه بقوة قرش محدب

وأخذ يرقص.. فمه ملطخ بالدم..

يزرب دخان أسود من محجريها المثيرين للذعر..

سقط أرضا مثل سلحفاة عرجاء..

الآن أتممت طقوس رقصتي الوثنية على مسرح هذه الخلوة الفريدة..

أنا مروع الشياطين

وحارس الجحيم الهلامي..

صوتي هراوة قدت من عظام المردة..

أخذ سكينا تلمع مثل ضوء قنديل في عتمة المقابر..

قطع رأسها .. دق حزمة من المسامير في فروة رأسها صائحا

ليغفر لك الرب ما اقترفت من آثام

أيتها المومس.

أنا النهر الملكي الذي يتدفق في

غابة الجنون الخلاق..

يا لها من حفلة شواء رائعة..

أيها المردة أيها الجن أيتها الأبالسة تعالوا .. اهبطوا من سرايا الغيب ..

هذا عشاء مقدس لم يك بد من الحضور ومقاسمتي لحم هذا الضأن الطازج..

سأحتفي بكافة الأشباح الملعونة التي تسكن بيتي الرجيم..

أيتها الكائنات السريةالحارسة لفخامتي من عضة الذئاب البشرية..البشر القذرين الذين هم في مسيس الحاجة الى

صلاة سكيني الرحيمة..

أنا دخان متشظ يقبع داخل كومة من اللحم القذر..

أكره البشر الذين دمروني ودمروا قرية الله الجميلة..

سحقا لشيئ يسمى انسانا..

هذا الذي الذي امتص جمال روحي مثل حبة فراولو..

اندلعت معركة وحشية بين قططه وكلابه الشرسة التي كانت تقاسمه

الحياة بمجرد تسلل رائحة الشواء

الى مسامات أنوفها..

تساقت الكؤوس الفاخرة من أعلى الرف المصنوع من الأبنوس..وتهشمت الأواني واحتل المكان ذعر شديد ..

احتسى كميات من دم ضحيته معمدا وجهه وأطرافه صائحا لتنزل بركة الرب..

فر طائر غريب يشبه الى حد بعيد طائر غرغر من أعلى تلة رأسه..

نادته خزانة صغيرة محشوة بجماجم ضحاياه

كف عن الضجيج أيها الحقير شاتمة أصله وفصله والسلالة التي تحدر من منابتها..

رد عليها بكل برودة دم وبلهجة فيها ما فيها من العنجهية

سأكسر عظامك أيتها البائسة العطنة..

سقطت الساعة الحائطية محدثة قرقعة فتحت النافذة وفرت خارج أسيقة الزمن..والتقاويم..

ثارت الملاعق الخشبية ..كان لثورتها واحتجاجها وقع كبير في صحن القلعة الرمادية ..

فقد الكرسي الذي يجلس عليه حاسة اللمس ظل يعوي مثل كلب خرافي..بينما الريح تطرق باب القلعة الكبير كما لو أنها رجال شرطة بيد أنه لم يزل غير آبه بهذه

الاحتجاجات داخل بيته الرهيب..

مزمجرا مخاطبا الريح بعدوانية

انتظريني قليلا

سأفتح الباب وأمسك جدائلك وأمزق لسانك المتطاول.

وبينما هو كذلك في نشوته الدموية الباذخة اذ هطل مطر شديد لم يسبق له مثيل..

حمله الطوفان الى قاع الجحيم لينال جزاءه الحتمي مثل حشرة

قميئة تعشش في غابة المتناقضات .

- **عذابات(إرميا) المهذب.**

الزمان والمكان يتقاسمان رغيفا واحدا مبقعا بطعم اللامعنى واللاجدوى.كل يستوحي هشاشه جوهره من صلب الأخر :

القمر شبه كفيف تحمله الغيوم كأسير حرب داخل عربات قاتمة سوداوية. الليل باسط ذراعيه داخل المنزل المتداعي. كرسي متحرك نكلت بأطرافه طبقات من الصدأ الصفيق .هذا مكانها الأثير حيث يعشش الفراغ.

يطوقها بيده اليمنى أي بيد واحدة لأن اليسرى شبه مشلولة متصلبة(كائن غريب متشبث بشجرة الحياة).

يضعها على ذاك الكرسي هذه المضروبة بداء الفالح كما

لو أنها قوقعة فارغة من العصر الجليدي أو قطعة أثاث منزلي معطوبة وبين الحين والأخرى يصدر هذا الكرسي صوتا أو أنينا مبحوحا كما لو أنه صفير عظام ضربها النقرس.

الجسر الوحيد الذي يصل بين هذين الكائنين المتخمين

بوطأة الصلب المتمرئي والكوابيس الجاثمة بكلكلها على بلاطة صدرهما هو لغة الإشارة ومصدرها العينان.تتطاير الكلمات من عينيها الجميلتين : أحبك يا ولدي.. ليباركك الرب والقديسون.

لا تقلق انها طفرة عابرة ، قفزة في الجحيم . تلك إحدى أساسات الشرط الإنساني الفاجع.

يبادلها الشعور ذاته. أحيانا يعتوره احساس حاد بأنه ليس ذاك الذي يحدد ماهية ذاته بدقة متناهية. انه شبحه المتجمد في هيأته القديمة حل في أصقاعه ليزاول

احتساء كاس الشوكران بشكل منتظم.

أنت ميت كلاسيكي ضارب في القدامة..نبرات تنهال عليه من جهة غير محددة ومعلومة.

يحاول طرد هذه الهواجس والزيزان العدمية الملعونة، والحشرات غير المرئية التي ما فتئت تلسع وعيه الجريح.

أنت لست وهما أو عمود إنارة معطوب في مقبرة مهجورة.

أنت في قمة جبل الفقد داخل كهف الموت مهمتك انجاز

حفر عميقة في النوم واهدائها الى قبار متوهج الخضرة.

موت لا ينتهي ممتد في الزمكان .

هذه أمك التي فشل الموت في تهريبها إلى أرخبيلاته المترامية. لعنة متوارثة. كائن زئبقي ليس من السهل الظفر بسلاله الضوئية وأسره في قفص الغياب.

من المحسوس الى اللامحسوس تتخبط أجنحة الموت أمام هذه الإرادة الصخرية الأسطورية. موت يتجدد في كل مرة معلولا بالبطلان. يتغذى بروافد المتناقضات.

تحلق طيور الرموز والإشارات على حافة عينيها. يبدو متشظي الدلالة وجهها الرسولي.

قد تموت يوما ما فيزيقيا وتبقى روحها العظيمة تلاحقك

وتنيخ بكلكلها على وعيك الجريح.وتظل تناجيك تلك

الرهينة التي يلتذ الموت بايذائها وتدميرها حد التبخر.

قطط عبثية تتداول على إيقاع تراجيدي. تفتض بكارة الصمت الذي يشبه الى حد بعيد لجة من الضوء والظلمة المتجادلين يسبح في أعماقها قرش المخيلة.

تتصارع القطط والأفكار المجنحة المتوثبة .. حرب شوارع دامية للغاية.

تنظر ناجية إلى هذه الأقزام المتورطة في تهشيم زجاج الوعي بهشاشة الأشياء وقضم ذيل الفراغ العائلي الطويل كذيل سعدان.

تشير بعينيها حذار من مخالب هذه القطط المدلهمة..

هذه القطط الشهوانية التي تتجاهل سطوة الموت وجلاوزته. يلتقط مكنسة يعدو أثرها كما لو أنه يعدو وراء شياطين مسبوكة من معدن هلامي صرف.

تطلق عيناها ابتسامة حلوة يتقرى أبعادها بألة الحدس المتشففة.

كان يردد دائما ما أقوى وأعظم هذه المرأة التي تحدت الموت مرارا برغم استحالتها الى قطعة ميكانيكية معطوبة لم يقدر الموت على قتلها وهضمها كفريسة على حافة نهر.

كانت ضد الموت مع الحياة . تقول عيناها لم يك بد من مقارعة الموت والسخرية من مشيته المتلعثمة.

لا تستسلم بسهولة يا ولدي. ذره ينبش كقرد متعفن في عزلته. واصل جريانك كساقية من الضوء.حافظ على متناقضاتك.

صرنا نرفض الموت ونقاومه برغم ضرباته الموجعة.

- **العائد من جبل الموت**

طردته (أ) مثل ذبابة قميئة تثير القرف والغثيان وتستفز الأصابع المتشنجة لسحلها واستئصال شأفتها ..

لم تعد ترغب في النظر الى وجهه الشبيه بكهف مليئ بالسحالي والعظايا..

لم يعد ذا جدوى .. ذا معنى .ذا نكهة آدمية..فقد ما تبقى من رصاصات الفحولة في جعبة ذكورته..اغتالته عنقاء الحاجة ودهسه دب المرض الوبيل..

تصيح(أ) بلهجة مغلفة بغلالة البراقماتيزم : أنت كابوس ليلي فظيع سقط من مخيلة هلامية على فروة رأسي..لعنة تلاحقني الى الأبد..

ثم دفعته بكل ما أوتيت من جنون وحيوانية صفيقة خارج البيت..

لقد عاشت في ظل سلطته أميرة

ترفل في الحرير والذهب..

تسكن فيلا فاخرة اقتاتت من لحمه ودمه وأعصابه حتى استوت على سوقها..

لم يأل جهدا في اسعادها ومقاسمتها أحلى لحظات الحياة..

وهاهي بعد مرضه لفظته مثل قطعة أثاث غير مرغوب فيها ثم فتحت هذا البيت الفاخر ماخورا تختلف اليه فئة من صائدي اللذة ومستهلكي الحشيش..

البائس(ب) قطعت رجله اليمنى

اثر حادث مرور رهيب..

وانكفأت عينه اليسرى على ذاتها

غار ألقها وامحت معالم بهجتها

وجمالها صارت عبئا لا يطاق..

عضو ميت تسكنه ظلمة أبدية..

لم يعد بمقدوره مزاولة أي عمل لتأصيل ذاته وفرض صوته في عالم لا يعترف بالضعفاء..

غزته عشيرة وثنية متوحشة من

الأمراض المزمنة والتي تهدده باقامة مطولة في عالم البرزخ..

استنكف منه ذوو القربى وتحاشاه القريب والبعيد..

اغتدى يتسول في الشوارع المترامة المزدحمة بالأناسي..

الساق اليتيمة التي يجرها مثل قطعة من الخشب اليابس مهددة بالبتر..

ومن خلال عدسة واحدة ينظر الى العالم ويمتص ما بقي من ضوء المسافات..وعلى صدره تخيم بناية هرمة من الهواجس السوداوية.. صار يتنفس ببطء شديد كما لو أن وحشا عصابيا غرز فكيه في عنقه الهش..

كم تمنى لو كانت له غلاصم سمكة ليتنفس ويتلاشى ضغط هذه الحجارة الكبيرة الملقاة على صدره من أعلى جبل العذاب اليومي..

نواقيس كاتدرائية تقصف شحمة أذنيه المتهدلتين..

أحيانا يشعر بانعدام نصفه الأسفل..باختفاء جذعه الهزيل..

حالة عصبية غامضة تنتابه من حين الى آخر..

كان أمام محطة الحافلات يستجدي المارة مستندا الى عصا

تعج بالنتواءت..

فجأة استحال وجهه المائل الى صفرة فاقعة الى قرية صغيرة ملآى بالأشباح.

عيناه تجمدتا مثل عيني منحوتة اغريقية ضاربة في القدامة..ارتمى على الأرض كتلة من الخشب المتداعي مبتوت الصلة بجوهر هذا العالم الحي..

انهال مطر غزير من الناس حواليه.

سحبت بنت خلاسية قارورة عطر ..رشت دارة وجهه المبعثر مثل قطع من زجاج الغياب المهشم

أراقت إمرأة في العقد الخامس من عمرها تقريبا ماء باردا غلى جبينه

قال أحدهم : أطلبوا الاسعاف..

قال ثان : أوقفوا سيارة أجرة حالا..

قال شيخ طاعن في العتمة : ذروه

انه قاب زفرتين من الله..

انه يحتضر.. انه يحتضر..

طوقت هذه الجثة الساكنة غابة كثيفة من الوجوه الحائرة..

طفق طائر الوعي يحلق ببطء فوق عش رأسه..

وبحركة بطيئة للغاية شرع شباك عينيه المفتوحتين على عوالم لا مرئية..

أخذ لون وجهه يحمر تدريجيا..

لقد فر لص الموت الى جهة غامضة..

ونجت الجثة من مخالب القبار..

طفق يتحرك بهوادة راشقا تلك الغيمة البشرية التي تحلق بجواره

بنظرة مكتظة بالشكر والمديح..

انها نوبة عصبية حادة..

استوى على سوق وعيه كلية..

تحامل على نفسه..

عاد نصفه الأسفل الى جسده آليا مثل شاة جامحة..

واختفى فجأة في مطاوي هذه السحابة البشرية التي تنتظر الحافلة منذ قرون .

- **قتلت أمي .**

حلقوا شعر رأسها المليئ بالكدمات .. أدخلوها إلى غرفة العمليات مثل كائن هلامي على حمالة متحركة..

يتجاذبها قطبان متضادان الضوء والعتمة..

يلاحقها ذئاب المحو بمخالب حادة جدا..عيناها مصوبتان إلى عيني الملطختين بحبر غيمة كثيفة من

الهذيان..

تقول عيناها : يبدو أن العدم أقوى جنودا وعتادا من معسكر الحياة..

إعتن بنفسك جيدا أيها البوهيمي.

إختلفت إلى غرفتها صباح اليوم التالي لم تزل مخدرة حتى أقاصي الروح..شيئا فشيئا طفق الضوء يتبرعم في عينيها..

إن جراحة الرأس محفوفة بالمزالق والمخاطر والعقبات الكأداء..

لكن عينيها المتهدلتين هما وحدهما اللتان تتكلمان ببلاغة وصمت عميقين..

لن أنجو هذه المرة بسهولة..

كنت أسقيها حليبا طازجا معتقدا أن له أثرا كبيرا في رفدها بضرب من التغذية السريعة الفاعلة بينما

هذه المادة الملعونة لم تذهب إلى مستقر معدتها كم كان يخيل إلي..

بل غيرت مجراها إلى قصبة التنفس وعلى غرة إختنقت(ن)

فيما عيناها ظلتا مرشوقتين في معدن اللاشيئ كعيني تمثال قد من البرونز الخالص..

رأيت حمامة بيضاء جميلة تزرب من ذؤابة رأسها مثل طيف ..

بينما صعدت روحي مهرولة إلى قاعة المحاكمات داخل قصر العدالة في ضاحية ضميري الملعون..

لقد قتلت أمي على وجه الخطأ..

أنا مجرم أبله يستأهل الموت بطريقة قتل الرومان للأسرى المتورطين .

مثل غيمة حزينة ظللت منتظرا

صدور الحكم..

تعلن محكمة الضمير بإلقائك طعاما مستساغا لوحوش رومانية قرمة..

تبخرت مثل جمرة في النزع الأخير..

أذكر أن خفافيش صدى هاجتمني من جهة الرأس بطريقة شاقولية..

حقا أنت مجرم..

قوضت كل ما قام به الأطباء لطرد شبح الموت من عقر جسدها الناحل..

ستظل ملعونا مدحورا إلى أبد الآبدين .

- **المومياء**

غالبا ما يجد خفافيش نافقة على مكتبه الصغير بعيون بلورية ناصعة وأنوف صغيرة حمراء وأجنحة مفرودة كما لو أن لها رغبة جامحة في الطيران وشن غارات شرسة.

يفرك أصابعه محدقا إلى أعلى.

النوافذ عادة موصدة في الليل.

والباب مستيظ مثل حارس فرعوني طوال الليل.

إذن ما سر هذه الخفافيش الميتة؟.

سأل(ن) (ك) وهي ممددة على سرير خشبي مثل أفعى المامبا.

من أتى بهذه الخفافيش القذرة؟.

من وضعها على مكتبي الصغير؟.

ليلة أمس نمت متأخرا جدا.

قالت(ك): لعل لقراءتك المكثفة لكتاب الأموات أثرا في سقوط هذه الخفافيش النافقة.

– بينما كنت منهمكا تقرأ هذا الكتاب الملعون مبتوت السبب بأحياز العالم الخارجي رأيت ناسا صغارا جدا يحملون جرارا مليئة بالنبيذ يقفزون مثل مثل مراكب ضائعة في المحيط.

وآخرين يقرعون صناجات بخفة ورشاقة.

رأيت مومياء متجهمة تقلم أظافرها

وتنعم النظر في لوحة الخشخاش لفان غوغ فاغرة الفم

مترامية الدهشة.

رأيت أغصانا ملتوية تزرب من كتفيك. شحذت بصري جيدا لاستغوار الحقيقة.

تحولت إلى شجرة مترامية الأغصان ثم انفرط سرب من الخفافيش النافقة من ذؤابة هذه الشجرة المدهشة.

حاولت الوقوف على قدمي لألقي كتاب الأموات من النافذة لتفترسه الأشباح الجائعة لكن خانتني ساقاي اللتان تحولتا إلى قطعتين من الرخام الخالص.

رأسي مدقوقة بمسامير إلى السرير.

عيناي فقط تلتهمان محتويات هذا المشهد المزعج الذي لا يتكرر أبدا.

حاولت الصراخ ولكن عبثا لم أفلح . لساني معقود. قلبي يغمغم مثل هر مهدد بالزوال.

كنت أشاهد جسدك يرفع بكل سلاسة إلى أعلى وتمحي معالم الشجرة التي تلبستك منذ حين.

حملوك في صحن طائر إلى عوالم ألف ليلة وليلة لتسرد قصتك العجيبة على شهرزاد.

ثم صكت أذني المتعبتين قرقعة

غريبة. إنه جسدك الذي سقط مثل جذع شجرة مسحورة.

قال (ن) لماذا كلما أقرأ كتاب الأموات تتلبسني حالات شتى؟

قالت: (ك)إنه كتاب ملعون.

منذ إبتياعه وتصفحه تغيرت أشياء كثيرة في حياتنا.

إحترق بيتنا مرتين. فرت قطتنا الجميلة المدللة إلى أمكنة غير معلومة .

ضرب المدينة زلزال مروع.

وغار الجراد على البساتين والسهول والمرتفعات..

قالت (ك) إن مومياء قذرة متجمدة حاولت خنقي بمخالبها الطويلة والإستفراد بك كما لو أنك كنز ثمين من كنوز توت عنخ أمون.

– أرجوك يا (ن) تخلص من كتاب الأموات ودع حياتنا تجري مثل الينابيع الصافية بمنأى عن كل المنغصات الفرعونية القديمة.

– لا يهم إن كان موتنا عبثيا معلولا بنهايات درامية موجعة للغاية

أو موت هادىء على سرير متواضع.

– نحن سنموت أي سنختفي في مكان ما من هذا العالم.

لذلك لا يزعجني جدا هذا الغول الذي يسمونه موتا بقدر ما يزعجني كتاب الأموات الملعون الذى منذ إقتحامه بيتنا قلب الأشياء وعمق كوابيسنا وقلقنا وجنونا.

دعنا نمت ببساطة الرعاة دون تعقيد وإشكال فلسفي ملغز.

- **الشجرة التي تقود دراجة هوائية في الليل .**

الى روح كل شهيد فلسطيني .

بعد موت ابنها مخنوقا بمخالب جندي صهيوني قذر لم تجد بدا من الفرار الى الغابة المجاورة..ها هي تبكي بمرارة وتقاسمها الأشجار الحزينة عويلا جماعيا موجعا بينما العصافير تترجم هذه الأنات العميقة الى جناز كنسي صاخب..وبالدموع الساخنة تعمد ريشها المائل الى دكنة غامقة..بعد موت ابنها على مرآى ومسمع من قطعان الثعالب العربية المهزومة تحولت الى شجرة دائمة البكاء .. مسكونة ببحران ليلي رجيم..لكن لم تحمل معها في هجرتها اللاارادية الى الغابة سوى دراجة ابنها القتيل التي اقتنتها له يوم عيد الشهداء.في الليل تقطع الغابة جيئة وذهاباعلى متن تلك الدراجة الأثيرة موزعة رسائل سرية على جيرانها الأثيرين.. الأشجار المضطهدة ..وفي النهار تتماهى بحركة صوفيةاشراقية مع طيف ابنها الذي أطلق نداء استغاثة وامعتصماه وبأصابعه المرهفة المصطفقة أتم طقس الشهادة (لقد أسمعت لو ناديت حيا لكن لا حياة لمن تنادي) واضعة الدراجة داخل جسدها المليئ بكدمات زرقاء..بينما الأشجار الحزينة تصفق بحرارة باذخة..المجد والخلود للشهداء الأبراروليذهب الأعداء الى اصطبل النسيان .ما أروعك أيتها الشجرة الأم التي تخبئ دراجة ابنها الشهيد بين ضلوعها ذكرى لتضميد جرح الوطن .

- **الشجرة التي أخفت الرجل الملعون**

سحبه غوريلا إلى جوف الغابة حاملا إياه على ظهره مثل رهينة بينما دراجته المهشمة تستغيث على حافة الطريق الرمادي الذي يشق الغابة..إختفى الغوريلا بين الأشجار العملاقة التي ما عتمت ترشقه بكلمات لاذعة مستنكرة منددة بهذه الرغبة الجامحة في الافتراس الأبدي..

العصافير المدهشة تصدر صيحات فزع من هنا وهناك كأنما تطالب بفك أسر هذه الرهينة التي لا فكاك لها من قبضة الغوريلا والتي بدت مثل حزمة من الموز الطري تتأرجح على كتفي هذا الكائن الضخم ذات اليمين وذات الشمال..

بلغ الغوريلا مكانا آهلا بالقردة التي تبدو مثل دببة سوداء بذيول غليظة.. يتطاير الشرر من عيونها الضيقة..

قال كبير الغوريلا : ذره لي..

لا تمزقوا جسده الغض..

سأزوجه ابنتي العانس التي آقتنعت هذه المرة بضرورة الزواج

وإنشاء عائلة مهذبة وقوية تحترم قوانين العشيرة ودستورها الوضعي القائم على أسس صحيحة جدا..سيعلمنا لغة بني البشر ويكشف لنا عن سوء طويتهم وأساليب مكرهم ودهائهم.

سنخدع حواسه ونمتص ضوء حكمته ونجفف ينابيع عقله إلى أن يصير قردا مثلنا لا ينتمي إلى عالم البشر المسيئين إلى جوهر الطبيعة..

أقام كبير القردة عرسا فخما لابنته أنثى الغوريلا شهده كبار القوم من شيوخ الغوريلا..

أمضوا سبع ليال صاخبة في أعماق تلك الغابة المنعزلة..

زعيق حنجرات حديدية..فرقعات غصون مكسورة .. قهقهات مريعة..

وغناء بدائي غامض مترامي المدى..

لحم حمر وحشية وحزم من الموز

ومياه ينابيع صافية.

وآخر الليل إختلف جميع الغوريلا إلى النوم واختلى العريس الوافد بزيجته العملاقة في خيمة من القش وأوراق الزنزلخت..

إرتمت أنثى الغوريلا على شرشف

زاهي اللون مثل مساحة صغيرة من الخشب الثقيل مخاطبة إياه بلهجة صارمة امسح رجلي المدججتين بالشقوق والتقرحات

والمتوجتين بمخالب حادة..

لم يجد بدا من أن يخلط ورق الحناء البرية المعجونة بقليل من الماء..ثم دهن رجليها العطنتين..

بينما عيناها المشعتان تدقان مسامير الرعب على جدار قلبه الذي يدق مثل نواقيس يوم القيامة..

تحولت روحه المذعورة إلى طاووس تزعق بجنون في حديقة الجسد..

ولما أخلدت إلى النوم وتعالى شخيرها مثل طلقات مدفع كلاسيكي..فر هذا الرجل الملعون الذي ما عتمت تلاحقه اللعنات منذ طراوة عوده كأن روحا شريرة تقمصت جسده المليئ بالندوب والكدمات الزرقاء..

بعد ساعة من الضرب في الغابة

الوسيعة المزدحمة بضروب الأشجار المعمرة..

تناهى إلى سمعه صراخ وجلجلة

كما لو أن زنوجا حمرا في حرب

شرسة فيما بينهم..

كبير الغوريلا وعصابته يلاحقونه

لقتله والتمثيل بجثته ليكون عبرة لغيره ..

كان يجري مثل كائن أسطوري ..

تارة يسقط وطورا يواصل العدو

بكل ما أوتي من جهد وقوة..

وفي إحدى المنحدرات إنشقت شجرة رحيمة وابتلعته..

رقت لحاله ورغبت في إخفائه

عن عيون عصابات الغوريلا..

قال لها : شكرا أيتها الأم الرحيمة.

ولما فشلت القردة الضخمة المتوحشة في العثور عليه..

ولت عائدة إلى أعماق الغابة متشنجة مستشيطة غضبا ..

فتحت الشجرة الرحيمة صدرها

ليلتحق هذا البائس الملعون ببني

جلدته.

- **الميت**

هذه الأيام لم يرقني تصرفها الأرعن ومحاولتها المكرورة قصد الهروب إلى أقاليم نائية قد تجد مكانا أكثر أمانا من مرتفعات جسدي الصخرية المليئة بالكوابيس والثعابين والسحليات من ثم لم أجد بدا من تدبير مؤامرة جيدة لكشف أسرار تمردها وماذا تفعل خارج عش الجسد . كنت أتجسس عليها مرتديا قناعا يعج بخطوط مسمارية كثيفة لأشتت إنتباهها وأقلص دائرة إهتمامها بهذه الكومة من العظام البارزة التي هي أنا حيث يبدو وجهي كما لو أنه شيء يشبه حشرة كبيرة لا حراك بها.

صرت أشعر بدبيب شيء غريب يصعد من أخمص قدمي إلى حديقة رأسي ثم ينسحب من فمي المشرع مثل نافذة صغيرة أعلى الجسد.

قطعت كل أمشاج علائقي بي. أخفيت صرار اللاوعي في خزانة مجاورة صفعته بغلظة لئلا يطلق عقيرته ويملأ حجرتي بزعيقه العجائبي المخيف.

قلمت أظافر ذكرياتي الجنائزية ورميتها من النافذة لتنطفىء ببطء تحت تهاطل الهواجس والثلوج.

وعلى غرة تناهى إلى سمعي ما يشبه إصطفاق جناحي طائر مذعور. جمعت أشتات ذهني لكي أمسك بماهية هذا الشيء الذي تمرد على سلطة الجسد هذه الأيام المستعصية.

ثم أخذت هذه الخشخشة تتوضح شيئا فشيئا وتبرز للعيان كينونة زئبقية متوهجة تبدو إلى هيئة الطائر المتعطش إلى كسر كل القيود والعقابيل ناهدا إلى بكر السبيل.

كان جسدي ملقى على السرير مثل حشرة ضخمة سوداء مستسلمة لإيقاع المحو غير آبهة بزئير العالم الخارجي.

كنت أراقب هذا المشهد العبثي من وراء حجاب شفاف.

الطائر المذعور يضرب زجاج النافذة بجناحيه المتشففين ليندفع إلى الأقصي ليتحرر من كتلة الصلب المتمرئي. يحاول مرارا ولكن سرعان ما يعتوره النصب فيرتد إلى أسفل محدقا في تفاصيل الحجرة لعله يجد منفذا يتسلل من خلاله.تدمع عيناه الهلاميتان ويطلق زفرات متقطعة.

كنت أراقبه بسرية مطلقة. يبدو حزينا مكفهرا قلقا متقلقلا مخذولا

غائما مطوقا بغيمة من العذاب الأبدي. فيحزنني هذا المشهد وهذه السوداوية التي تطبع جوهره الخالد.

كنت أنظر إليه وأحدق في ذؤابة

طوقه المضرج بنثار الدم.

أبكي كما لو أني قبالة تمثال بوذا.

ثم أنظر إلى جسدي الذي لا يتحرك البتة كما لو أنه قبر في متاهة أبدية.

كنت أنتظر عبور باخرة الصباح الأغر لعل الأشياء تتغير وتعود الروح إلى عمائق الجسد ويندفع الإثنان إلى ضرب من المغامرات التليدة.

غير أن حتميات العالم البائسة جرت مجرى يتنافى وإرادة الكائن

المتعقل وأثناء هذه الورطة الشائكة فتحت الخادمة الباب ففرت الروح باتجاه أقاليم المجهول.

سمعت عاصفة شديدة من البكاء وباقات التعزية المشذبة يقدمها الجيران والأصدقاء إلى أهلي.

حينئذ نزعت القناع وأطلقت صرخة مدوية واختفيت وراء طابور المعزين وعلمت أني غدوت في عداد الأموات .

- **الرهينة**

حجرة دون نوافذ أو قل كهف قروسطي صغير تخيم على أرجائه دكنة غامقة حيث تنسج العناكب بيوتا معلقة في الهواء وتنصب الكمائن لضروب من الحشرات التي تخبط خبط عشواء لسد الرمق وإسكات نواقيس الجوع المزعجة. الخفافيش تتظاهر بشراسة داخل الكهف جيئة وذهابا ولوطوطاتها إيقاع جواني ملغز ومحير .

سحليات قميئة تعقد صفقات مع الأرواح الشريرة.

تزحف بأليغورية مترامية الأسرار حول سرير (ع) الخشبي المكتظ برائحة الإحتضار.

(ع) يصارع الموت منذ أشهر .

ولكن لم يستطع الموت إعتقاله كرهينة أبدية. تخلص منه ذوو قرباه بوضعه في هذا السجن الشبيه بحكايات ألف ليلة وليلة.

وبخاصة لما لفظته المستشفيات مثل خرقة بالية غير صالحة للإستعمال.

جسد متعفن يصدر رائحة مقرفة.

تعلو معظمه طبقة من القيح والدم المتخثر. هيكل عظمي يرابط في هذا الحيز المعتم.

إنتحرت الملائكة في مكان آمن. في غابة تحولت أشجارها إلى تماثيل نساء مترنمات بأناشيد كنسية خافتة.

إستفحل مرضه وتفتحت أكمام النوستالجيا وغزته كائنات غريبة من الماضي السحيق.

تذكر في البداءة القحبة التي قضمت ذكره وكادت تقطعه نصفين إثر خلاف نشب بينهما في بيت الإستحمام.

لأنه إكتشف حقيقة مرة أربكته طويلا.

كانت تحمل عضوا ذكريا متهدلا وخصية يتيمة.

يومها صفعها بقضيب حديدي على نهديها الهجينين حد الموت وحرض كلبه الشهواني بأن يعضها من مؤخرتها. ثم ركلها بكعب حذائه الجلدي.

المهم لم يتخلص من كوابيس هذا المشهد العبثي الذي عشش في جزيرة لاوعيه المهجورة.

وغالبا ما يطفو على السطح كلما إستفرد به المرض فاتحا باب ذكرياته على مصراعيه .

كان يعتقد أن الجنس البشري قد لقي حتفه إثر حرب عالمية ثالثة وأنه هو الناجي الوحيد من الهولوكست. والميت الذي لم يزل على قيد الحياة.

- **المأدبة**

يقيم (ج) في شقة جميلة مؤثثة بأروع ما ابتكر من أثاث ومرتبة ترتيبا جماليا رائعا. تقع في قلب العاصمة(ت) أشتهر بتجارة الأسلحة والتهريب وتبييض الأموال.فرت زوجته العصابية النحيلة مع تاجر مخدرات ماكر كان صديقا لبعلها الذي ما فتىء يعاملها معاملة الرقيق ويمعن في ممارسة طقوس جنسية غريبة حيالها معملا مخالب روحه الشهوانية في جسدها الغض الصقيل.

ظل وحيدا في شقته رغم ثرائه الفاحش لم يرغب في الزواج مرة ثانية. وبمضي الوقت تحول إلى وحش كاسر مراوغ يتقنع بأقنعة شتى لاستدراج ضحاياه إلى شقته

الأنيقة لينعم بمشهد شلال الدم وهو يتبجس من جسد الضحية.

السماء داكنة الوجه . الشمس مختبئة تحت تجاعيد الغيوم الكثيفة.

يرتدي (ج) نظارات سوداء حاملا عصا بيضاء مدعيا العمى. بينما يخفي سكينا تحت معطفه البني منتقيا ضحاياه من النساء الجميلات لإسكات خوار غريزته المدمرة وثعابين شهوته المتربصة.

إستوقف إمرأة جميلة رشيقة ضحوكة الملامح قصد مساعدته وتشييعه إلى شقته القريبة.

أمسكت بذراعه على التو واندفعا الإثنان باتجاه العمارة الفخمة بينما المطر يرتل جنازه الرتيب والمارة يتدافعون مثل قطيع من الغيم المبعثر هنا وهناك.

فتح باب شقته ثم جر المرأة من شعرها القمحي الناعم إلى الأمام مسددا لها لكمة قوية في صدغها الأيمن سقطت إثرها فاقدة الوعي.

صاح بكل ما أوتي من نشوة .

يا لها من مأدبة لذيذة.

سقط مثل بناية متداعية على جسدها الهش. أخذ يجامعها كما لو أنها جثة هامدة ولما أتم طقسه الإحتفالي أخذ يتفنن في تقطيع أطرافها بسكينه الحادة جدا.

وضع لا وعيها في إناء بلاستيكي

مثل نبتة مقدسة في دير آهل بالقساوسة.

سحب عروقها وشراييها بعناية فائقة ليصنع منها حبالا جيدة . ليصعد إلى أعالي هواجسه الليلية في براري النوم.

شرب كأسا من دمها الذي طفق يتخثر مقتنعا بأن الدم يخلص الجسد من عبث الأرواح الشريرة.

أثناء هذه الحفلة الدموية التي إغتدت ضرورة لبقائه على قيد الجنون.

كان يمتص عيني ضحيته المحدقتين في اللاشيء بعد اقتلاعهما بملقط مكسو بغلالة شفيفة من الصدأ كما لو أنهما قطعتان من الحلوى ذات المذاق الباذخ.

العينان يقويان سحر المخيلة ويرفدان حدقة الروح بأنساغ سرية التأثير.

ثم يطلق ضحكة كما لو أنه يلقي حجارة في بئر هادئة.

ينادي قطه الأسطوري الضخم ذا الروح الشريرة ليشاركه لذاذات هذه المأدبة الفخمة.

القط (غ) له رأس يشبه الذئب كثيرا وقوائم دب قطبي صغير وعينا إلاه يجلس على كرسي في أقصى الجحيم.

إنه لا يموء بل يتكلم بأحرف مسمارية مبهمة لا يفهم مداليلها وأبعادها إلا (ج).

يرقص مثل عبد حبشي ويغني مثل محارب يحتضر .

مفتونا بفاكهة العادة السرية.

بما أنه لا يجامع إناث القطط ولا يحتك بأحد خارج الشقة.

هو سجين شبقي مثل صاحبه لا تصله علاقة بأحد.

تقدم القط (غ) متفحصا أوصال هذه الجثة. منتظرا إشارة من سيده حتى يلتهم ما لذ وطاب.

أشار عليه بقضم حلمتيها وقطع لسانها المتهدل ففعل.

– هذه الضحية بضة مكتنزة تصلح لأيام الشتاء الباردة.

(ج) مخاطبا قطه الملطخ فمه بالدم :

– مارأيك في عشاء الليلة.

– رائع ومستساغ يا سيدي.

– الفضل يعزى إلى العصا التي يحملها العميان.

– وإلى النظارات السوداء كذلك.

– سيدي لماذا لا تقتل الرجال أيضا

– أشتهي خصيهم بأسناني .

–لقد تحول جميع الرجال إلى نساء في هذا الوطن الأرعن.

سأكف عن مهنتي هذه حين ينبت الرجال في تربة هذه الرقعة العدمية.

- **الثعابين**

قررت بعد تفكير طويل أن أرسل جسدي مفصولا عن رأسي بسبب إقتضاءات وإكراهات شتى .

أطلقت جسدي المفصول صباحا ليفاوض العالم بدلا مني ويصنع معجزاته بعرقه ويحتك بالأضداد.

عاتبني رأسي طويلا مدويا.

– لماذا تركته وحده يجابه العالم

الخارجي؟.

– أشفقت عليك من الطعنات المكرورة التي تلقيتها من نظرات المومياء المليئة بقش العتمة واللامبالاة والسدود الغزيرة التي تفصل بين الحقيقة ونقيضها.

–إذن أنا غير موافق تماما على هذا

التصرف الأرعن.

– لا أشاطرك الرأي من الحكمة بمكان أن تنال قسطا من الراحة وتعيد ترتيب أوراقك جيدا. وتشحذ عالمك الداخلي بعيدا عن السوقة والرعاع والجثث المتعطنة.

– أنا إلى حد هذه البرهة العصيبة لن أجاريك فيما ذهبت إليه.

– إنتظر .

– ستبدي لك الأيام.

– هذه مغامرة لم يجترحها إنسان يستميز بآلية تفكير مستقيم راجح.

–أنت الآن قطعة مسحورة من العظام المدورة مستطاعة بغيرها .

– سأضعك على منضدتي وأدخل عليك بعض التعديلات الجذرية حتى تتحول إلى شيء مهم ونفيس.

وبينما كنا منهمكين في حوار ساخن.

سمعنا إصطفاق الباب وقرقعة صغيرة أدركنا للتو خروج الجسد وحده لمجابهة ثيران الحتميات البائسة.

إنه الجسد يصطدم بالباب الخارجي ويتلقى صفعة أولى ولكن واصل طريقه غير آبه بشيء.

المهم أن يستعين بذاته وقدراته وقوته الفيزيقية.

قطع شوطا لا بأس به لم يمسسه أي مكروه أو أذى.

صاح منتشيا أنا لست في حاجة إلى رأس يدلني . أنا سعيد ببوصلة القلب المدهشة. إندفع في غناء فريد دافىء عذب كما لو أن العالم خير محض .

بيد أن ما نحس به لا يتوافق أحيانا مع قوانين العالم الخارجي.

وعلى غرة أبصره لفيف من الأناسي وعدوا إثره إشباعا لنزوتهم الحارقة في معرفة الحقيقة.

الناس عادة لا يرغبون إلا في إصطياد الحقيقة المتبدية للعيان

أما الباطن فمهمل ومتروك ومهجور ولا يعني شيئا لهم.

كان هذا الجسد السيء الحظ يركض في كل الإتجاهات بينما يلاحقه الآخرون لأسره واستغوار أمره الغريب .

رشقوه بالحجارة لإسقاطه. ما إن يسقط حتى يستجمع أشتات قواه ويواصل الركض مكتظا بكدمات زرقاء .

لم يرضخ. ولما كان سريعا في عدوه إستطاع أن يختفي عن الأنظار في غابة كثيفة معتمة حزينا يائسا . حاول أن يفكر ولكن لم يفلح في ذلك. لأن رأسه مختبئة في شقة بعيدة عن أعين الشياطين.

ظل هنا ساعات طوالا مصغيا إلى قيثارة الينابيع العذبة وحفيف الأشجار وترانيم الطيور على تمايز أشكالها وألوانها وعواء الذئاب الآتي من الأقاصي .

فجأة تناهى إلى سمعه الداخلي صوت نابع من الأعماق الكثيفة.

يا جزءا من سنخي . لقد خمشت بصري هذه الكدمات الزرقاء التي يعج بها جسدك.

– قال الجسد بلهجة خافتة :

لمن هذا الصوت؟.

– صوت الأرض التي أجبروك على التحرر الخاطىء من جنتها الأبدية. ولكن طب خاطرا. إنها لا تعدو أن تكون مجردة طفرة.

ستعود إلى بيتك الحقيقي وتحظى بمنزلة عظمى في النسيج العميق لجذوري.

– شكرا أيتها الأرض على هذا الإحتفاء والترحيب.

تحامل على نفسه وأم من جديد سمت الواقع ليجابه هذه المخلوقات الكابوسية الجامحة المفطورة على الشر وحبك المؤامرات وشن الحروب الضارية وعقد الصفقات الخاسرة.

وما إن وطئت قدماه باب المدينة حتى نشب خلاف حاد بينه وبين لص متهور كان يرغب في اختلاسه وفجأة سقط صريعا ملطخا بدمه إثر طعنة غائرة.

- **من قتل (ج)؟**

الثالثة مساء

ندف الثلج تتدافع.. شهر يناير ذئب قطبي ما فتئ يعوي منذ أيام قلائل فوق أسطح البيوت القرميدية.

كان حاجز بلوري يفصل بينهما. كل يضع سماعة الهاتف في أذنه المستنفرة.

الكلمات تتساقط مثل أوراق الخريف من شفتي إبنه السجين.

الإبن متلعثما عيناه تحلقان مثل عصفورين مذعورن.

– لست أنا الذي رشق السكين في قلب (ج).

ثمة وحش قذر مخيف بدائي قفز من قفصي الصدري

وأعمل أنيابه في جسد (ج).

ثم إختفى على غرة داخل غابة أعصابي الكثيفة.

أنا بريء أنا بريء.

الوحش الدموي الذي يحتل مملكة جسدي هو القاتل الحقيقي.

نظر إليه الأب نظرة سريالية غائمة

– هون عليك يا بني.

أعرف جيدا إنه الجني الذي خدع أمك وأهاب بها إلى إعمال النار في جسدها لكي تتخلص من الأشباح التي تضربها بالكرباج في الليل فتصدر صوتا ميتافيزيقيا غريبا مزعجا أقض نوم الجيران.

– إنهم يبغون مضاجعتي وجري إلى مكان معتم جدا.

أبي : هل مات (ج) ؟

الأب : نعم .

لقد قتله دب نصفه الأسفل بشر .

– كيف ؟

صوب خنجره السام باتجاه قلبه فأرداه قتيلا.

– لكن لماذا أنا في السجن ؟

لأنك متهم بجريمة قتل مروعة .

أطلق الإبن عبوة ناسفة من أعماقه تناهت إلى مسمع السجان الذي كان يراقبه عن كثب.

– إسمعني جيدا يا أبي

لم أقتل (ج) إطلاقا .

لقد إنتظره البحر طويلا ليشيعه إلى بلاد الفرنجة لتغيير معالم حياته الشحيحة البائسة ليفر من أخطبوط الموت البطيء ونعيق غربان اللاجدوى ليصنع ملحمة فذة لحياته الهامشية الكريهة.

بيد أن البحر غضب غضبا شديدا لما تأخر (ج) فقرر الذهاب إلى بيته على أطراف أصابعه وإطلاق النار عليه.

البحر لا يظلم أحدا . إنه لا يحب الكذب واللف والدوران والضحك على الذقون. البحر يحب المغامرين وأسباط السندباد .

الأب : أحيانا أشك في قدوم تلك المومس خلسة متلفعة بثياب راهبة مسنة لتقتص منه لأنه إفتض مشاعرها وهدم فردوسا صغيرا أقامته على حافة قلبه المتشفف عاقدة العزم على إتخاذه بعلا والهروب من صخب الحانات وشقشقة أفاعي المامبا.

إنها القاتلة المتخفية التي طاردته مثل فريسة هشة ومن ثم لم تجد بدا من حمله إلى عالم الماوراء.

– الإبن مخاطبا الأب بلهجة خافتة : أصدقني القول يا أبي هل أنت القاتل السائر في جنازة (ج) ؟

الأب– أنا لا أقتل المجانين مثلك.

– الإبن : ملامحك تشي بذلك يا أبي.

– أنت قتلت جدول الفرح الصغير في أوج عنفوانه.

شردت عصافير العائلة التي تسكن في أعشاش قلوبنا.

– الأب : أنا لم أقتل فراشة واحدة في حياتي.

– الإبن : يصرخ يا سجان يا سجان

هاهو القاتل الحقيقي.

– إنه أبي الذي قتل (ج) بمسدسه الإداري لأنه دافع عن شرف أخته العذراء لما حاول أبي إغتصابها.

– أبي جاسوس وشهواني وعاهر.

وفي هذا الوقت بالذات حيث هاجت ثيران جنونه تدخل عدد من السجانين ساحبين الإبن إلى إلى باحة السجن صائحا

أنا بريء أنا بريء.

بينما عاد الأب أدراجه إلى الخلف.

مخاطبا نفسه بإيقاع تراجيدي.

– هل أنا مجرم؟ هل أنا حقا من قتل(ج)؟

- **قلقامش الصغير**

إحفر في كل مكان تجد عشبة الخلود . لقد سقطت من فم الأفعى المتغطرسة لما طاردها عفريت من الجن. إنها مدفونة في مكان ما من هذا العالم. قد تكون داخل حيطان حجرتك المعتمة أو في صحن البيت. أو في أحد شوارع المدينة المحاذية لطابور الموتى.

لا تيأس كما يئس قلقامش . الموت على بعد أمتار من حديقة رأسك.

لم يك بد من إلحاق الهزيمة بالموت واستئصال شأفته.

يقفز (ع) من شرفة النوم مثل قطار مبحوح الحنجرة مصطفقا مثل ورقة في مهب الريح. وقد نالت منه هذه الكوابيس المزعجة جدا .

يلتقط فأسا حادة ويظل يحفر هنا وهناك منقرا عن هذه العشبة الملعونة.

لا بد من العثور على هذا الكنز وإبطال مفاعيل الموت. هذا الغول المتوحش الذي إلتهم خالصتي وأفرغ رصاصاته في شجرة الأسلاف الجميلة.

لقد حفر حفرا كثيرة في البيت بحثا عن تلك العشبة السحرية ثم إمتدت يده خلسة إلى كنيسة مجاورة لبيته. كان حفارا فذا غير آبه بمآل الأمور.

– سأصطاد هذه العشبة المتخفية تحت جلد الأرض وأنتصر على الموت وإرادته الأبدية المدمرة لجوهر الأشياء الجميلة.

لقد أتعبه الموت إلى حد الجنون.

تخطف صديقه أنكيدو أو الهاشمي الذي قاسمه الضرب في مناكب الماورائيات وقتل الثور المجنح وقطع أشجار غابة الأرز وإطلاق النار على ذلك الحارس البهلوان خومبابا.

لقد بكى بحرقة عند إختفاء الهاشمي صديقه اليومي الصميم .

ذاك الأعزب السريالي الذي أفرده جميع الناس واغتدى ظله الذي لا تمحي معالمه .

لقد حلقوا شعر رأسه المهوش قبل دخوله إلى غرفة العمليات بمستشفى الأعصاب بشفرة طبية حادة إثر تعرضه إلى جلطة دماغية حادة.

لكن لم يدر بخلده أن الموت يترصده مثل قناص شوفيني.

بيد أن الهاشمي خرج جثة هامدة من بيت العمليات .

رفض دفنه أسبوعا كاملا بما أنه لا يؤمن بحتمية الموت وقوته الضاربة في معدن الأشياء.

أخيرا حمله على ظهره خلسة ودفنه في حديقة بيته منتظرا المعجزة أو قيامة صديقه البائس .

ظل يجلس بمفرده في مقهى الميناء محلقة عيناه مثل نورسين مذعورين فوق الأمواج العبثية.

مات الهاشمي وكثير من أصدقائه

خدعهم الموت هذا الدجال المهجوس بسرقة الأرواح الشفافة المتوهجة. وإفراغ الأشياء من معناها الجميل.

لم تكن أمه من جنس الآلهة وتحدر أبوه من عائلة غير متدينة .

صار يؤرقه فعل الموت في الأشياء.

وظل يحفر في كل مكان بحثا وتنقيبا عن العشبة التي أخفتها الساحرة في باطن الأرض.

لقد كست التجاعيد جسده الهش

وغارت عيناه المتلامعتان.

الموت يخرج لسانه الطويل المعقوف ساخرا من عمله العبثي والحفر الغزيرة التي أنجزها دون إدراك مبتغاه والحصول على عشبة الخلود.

بينما كان منغمسا في نوم عميق لاح له طيف أنكيدو صديقه الهاشمي الذي مات في المستشفى

مثل آلاف الناس.

– كف عن الحفر يا صديقي.

العشبة في بطن الأفعى التي تحولت إلى جزيئات من الغبار الشفيف.

أصح يا صاح. صدقني بالفعل الخلاق وحده ستنتصر على الموت. من ثم أنت مجبر على مقارعته بديمومة الخلق والإبتكار والإنشاء .

- **كافكا في السجن**

المطر ضرير يخبط في صحن البيت المتداعي . البيت الأشيب إلتهم طفولة (م) بفكي حيوان ضار . العتمة تفتح النار عشوائيا على الجيران . رائحة مقززة متعطنة تتطوح في أصقاع الحجرة المليئة بثعالب الهواجس.

هنا كل شيء يرغب في الموت.

في الهجرة الأبدية إلى أقاليم الغياب الوسيعة. مومياء مسنة تحمل ذؤابة شمعة بين أصابعها المكسوة بتجاعيد كثيفة . تحدق في تفاصيل وجه الأب المتكوم مثل حشرة عملاقة نافقة.تبدو جثته مقطوعة إلى نصفين متوازيين كما لو أن شظية طائشة كانت وراء ذلك.

تزرب من حدبته ديدان مقرفة.

عيناه الضيقتان تبدوان نصف مغمضتين

أمضى نهارا يتخبط في خرم اللامعنى تلاحقه الأعين المتجسسة المرفودة بالكراهية والسخيمة.

تعض شحمة أذنيه أشباح نزقة.

عربة الجار ذات الحنجرة المبحوحة المزدحمة بالغيوم تنادي باسمه كل صباح ليقترف العبث والجنون واللاجدوى بغية الحصول على رغيف أسود سام فظيع.

(ن)تخطفها حوذي الموت في الرابع عشر من آذار الفائت.

ماتت مثل سحلية قميئة في مكب نفايات. مخلفة فراغا يزعق مثل بومة عمياء كل مساء.

طردتها الحياة بمكنسة على مؤخرتها باتجاه الهاوية.

رغم ذلك لم تيأس من كسر قوقعة الفقد والتحليق بأجنحة متوهجة

في أصقاع البيت كلما تختفي الشمس وراء أكمة الأفق البعيد.

تزور بعلها المتشقق المنبوذ وابنيها اللذين ما عتما يحلمان بدفء عائلي أثير.

كان إبنها(س) يحس بوجودها وبخاصة حين تصهل فرس الظلمة

ويطلق الرعد أول قذيفة مروعة باتجاه الأرض وتتعالى أوركسترا القطط المتوثبة إيذانا بحفلة تنكرية ساخطة.

كان يناجيها بكلمات رقيقة ناعمة

بينما حزمة من الدموع تتساقط مثل شآبيب المطر على وجنتيه.

الأب حشرة منبوذة .

أخوه الصغير (ر)يثغو مثل شاة يهددها قطيع الذؤبان.

منذ يومين لم يذق شيئا على الإطلاق.

الله لم يعد مهموما بمشاغل هذا الكوكب الملعون المنذور لموسيقى الموت البطيء . لا ينظر إلى الفقراء بعينين صافيتين.

نام الإبن الصغير بجوار جثة أبيه المنتفخة.حالما بنصف رغيف طازج وحذاء جديد لقدميه المتفحمتين.

تأبط (س) سكينا حادة واختفى في بطن العتمة. لم يحظ بأي عمل بسبب العاهة التي التي تكسو وجهه الكابوسي.

الناس موتى والبيوت مقابر.

لا نجوم على سطوح السماء.

الأشباح تتقاطر مثل مسافرين جاءوا من مدن نائية.

لا بد من ملاحقة جنود الجوع الذين يحلقون حذو جسد أخيه الصغير الذى طفق يتلاشى ببطء مثل غيمة في سماء محدبة.

وبينما كان يحرث الحواري بساقي كنغر أبله إذ لاح له بيت وسيع يشي بضرب من النعمة وبلهنية عيش قطانه.

وفجأة تقحم بيتا فخما .

دقات قلبه تتسارع مثل عجلات قطار يحمل جثثا ورهائن.

ينز عرق بارد من جبينه الناتىء.

تفر من زجاج عينيه المكهربتين شياطين مجنحة مخيفة.

خطا خطوات مثيرة للأعصاب.

إنطلق خفاش من شجرة مجاورة

مثل سهم مصطدما بعامود كهرباء خشبي. صمته المتهدل يدق الطبول كما لو أنه في ساحة ملآى بالزنوج.

تسلق الجدار مثل فهد.قفز من البلكونة إلى غرفة الإستقبال المؤثثة التي تشي بالنبالة والبذخ.

ملأ جيوبه بمجوهرات نفيسة للغاية. ثم عاج على المطبخ بخفة.

إلتهم ما لذ له من أطايب المأكولات. ثم إرتد على عقبيه سعيدا بهذا الكنز الذي يتلألأ في جيبه. ثم قفز من سور البيت الفخم متجها إلى بيته المتواضع كما لو أنه فاتح كبير لمملكة السعادة الأبدية.

وبينما كان يمني نفسه بقضاء آخر أسبوع مريح لعائلته البائسة جدا.

إذ قبضت عليه دورية أمن على حين غرة وتم اقتياده إلى السجن لما إقترف من جرم مشهود.

وأعيدت المجوهرات إلى أصحابها.

- **قيامة غريغور سامسا**

لم تطله لعنة غريغور سامسا برغم الخيوط الدقيقة التي تصله به والعلقة الصميمة التي تشده إليه.

كان يبكي طويلا كلما انغمس في قراءة رواية التحول التي قلبت رؤيته للعالم رأسا على عقب.

هذا الغريغور البائس الذي تحول إلى كائن هش دميم مستطاع بغيره.

يقضي معظم وقته متقوقعا مفكرا في فداحة شرطه الوجودي الطارف مختبئا تحت السرير منتظرا رمال مصيره المظلم التي ستقذفه إلى المجهول شاعرا بألوان من العنت والعذاب اليومي الذي لا يضارع.

لكن(ق) لم يتحول إلى حشرة قميئة بل تحولت نظرة الآخرين إليه كما لو أنه شيء غير مرغوب فيه , غير جدير بارتكاب فعل الحياة مثل غيره من الأسوياء.

تألبت عليه الكلاب الضارية من البشر الذي ينبحون طوال الوقت.

حاولوا طويلا سرقة روحه واستئصال جوهرها الصافي بأنيابهم الصدئة.

غير أنهم باءوا بالفشل الذريع. حاولوا صلبه على صخرة الدعاية المغرضة لتقطيع إرادته وإفراغها من كل معنى جميل وإلقاء كتل من الرماد داخل حديقة مخيلته الخصبة . ولكن قاومهم بكل ما أوتي من إبداع وجمال وفرادة.

كانوا يحرضون كل شيء ضده البشر الحجر الشجر حتى الفراشات الشفيفة البريئة بيد أنه لم يهن ولم تذهب ريحه.

ظل يصارع هذه الطغمة المتوحشة كما لو أنه أسد أسطوري لا يقهر.

العميان كثر.

– سأسقط الجسر على رؤوسهم.

سأستأصل صورة الحشرة القميئة التي خلعوها علي وعلقوها في برواز مخيلتهم العرجاء.

أنا رجل عظيم قادر على تغيير معالم الأشياء وإعطائها معنى عميقا.

سأقاتل هذا الطابور الذي لم يزل يشك في قوة إرادتي الإنسانية الفذة.

ستكون الكتابة سلاحي الذي لا يفنى. سلاح الآلهة الأبدي. سلاح الإنسان الذي تجاوز شرطه إلى أقاصي المستحيل.

(س) يخاطب (ع) بلهجة ساخرة.

إنه حشرة مقرفة .

تأمل في جحوظ عينيه البراقتين.

كتفيه غير المتساوقتين ,حدبته الكريهة. فمه الأدرد الضيق .

(ع) رغم أنه يمشي على قدمين فإن صورته التي تشبه حشرة مخيفة زنخة لا تفارق مخيلتي.

إنه لا يمت إلينا بسبب.

– تبا لهذه الحشرة العملاقة .

– لا بد من اضطهادها واجتثاث شأفتها .

– حشرة قذرة مغرورة تعتد بنفسها ما عتمت تقاومنا طرا.

قال (س) سأخطط لاغتيالها وإراحة العالم من صورتها البشعة.

لقد أمعنوا في إيذائه وتشويه سمعته وتأليب العالم ضده .

لكن (ق) محا تلك الصورة البشعة التي تخيم في عقولهم . . صورة الحشرة القميئة .

لقد إنتصر على أعدائه أجمعين الناس والزمن والموت بسلاح الكتابة الأبدي.

لقد حول حشرة كافكا الملعونة القميئة إلى قوة إبداعية لا تقهر.

- **جثة دون مأوى**

رن جرس الهاتف بوحشية مفرطة.

هاجم أذنيه الشبيهتين بأذني أرنب مذعور. تعالى صوت ناظر المستشفى البارد واللامبالي

– الجثة جاهزة بمقدورك القدوم حالا واستلامها.

المطر والشمس يشكلان لوحة سريالية مدهشة. يخلعان دكنة خفيفة على العالم المتحرك .

لفت إنتباهه مواء قطة صغيرة تواجه مصيرها بهشاشة وارفة الظلال تستعطف المارة النائمين دون جدوى.

حدق في اللاشيء أو فيما ستكون عليه الأمور قادم الأيام.

لقد سحب صاحب المحل محتويات البيت المتواضع إلى الخارج لأنه لم يسدد معلوم الكراء منذ أشهر ثلاثة.

ولكن لم يك بد من إيجاد حل جذري لإيواء جثة أمه التي أعمل فيها الفالج مخالبه الحادة.

الموت والفقر هما العملتان الذهبيتان اللتان ورثهما من العائلة الملعونة.

ماذا سأفعل بهذه الجثة البائسة؟

لا بيت لي الآن والأقارب تحولوا إلى مومياءات لا تصغي إلى نداء الروح المهيضة المخذولة .

عرض عليه صديقه الذي يعمل صيادا في بحيرة مكتظة بالوحوش الغريبة.

– بمقدورك جلب جثة أمك إلى بيتي. سأقيم أنا بكل مستلزمات الدفن. أنت بمثابة أخي لن أتخلى عنك إطلاقا.

سنقيم جنازا رائعا لهذه الفقيدة كما لو أنها أمنا الأثيرة.

لا تشغل بالك يا صديقي.

غير أن عيني زوجته لا تشيان بخير.

هذا ما استبطنه من نظرتها المليئة بالإشارات التي تنم عن الريبة والقلق.

ولكن لم يبال بهذه النظرة المريبة.

ويمم وجهته نحو المستشفى.

سقط الليل بجناحيه السوداوين الغربيبين من أعلى شجرة السماء ليحول العابرين إلى ظلال متحركة

بعد ساعة تقريبا عاد بالجثة البائسة في عربة إسعاف قديمة.

طرق الباب طرقا متواصلا ولكن لم يفتح إطلاقا.

أدرك آليا أن زوجة صديقه نجحت في طرد الجثة والسخرية من روح الإنسانية التي إستماز بها صديقه المغلوب على أمره.

أسلمه سائق عربة الإسعاف جثة أمه وانصرف .

حمل الجثة واختفى في الظلام. بينما المطر ظل يبكي بمرارة داخل رحم المدينة.

- **القردة**

إختفت النجوم وراء أكمة من الضباب الكثيف.أيقظته رقصات الفلامنكو التي يمارسها المطر على زجاج النافذة . فتح الأحدب باب بيته الخشبي الشبيه بغطاء تابوت قديم. كان يضلع مثل إوزة مسنة.

إمتطى عربته التي يجرها حصان

من القرون الوسطى واتجه نحو الماريستان لجلب جثة أحد جيرانه الذي مات بفيروس الكورونا الذي سيحصد أرواحا ثرة في بداية هذا القرن الوبيل بما أن ثمة إضرابا قام به عمال محطات بيع البنزين.

الحصان يركض مثل أرملة وراء نعش. الأحدب ذو العينين الضيقتين يكاد يسقط من العربة المتلعثمة الإيقاع.

منذ خروجه من بيته لم ير أحدا من البشر كعادته كل يوم. لم ير غير قردة بدائية تملأ الشوراع والحواري ليس ثمة سيارات ولا قطارات ولا درجات نارية.

قردة تتقاتل وتتراشق بالحجارة.

شرطى ملقى على الأرض ملطخا بالدماء. حاول أن يدحض حجج عينيه العميقتين ولكن لم يفلح.

صدمه مشهد تراجيدي جارح لما رأى كوكبة من القردة مسلحة بالعصي والهراوات تقفز من سور البرلمان وتطلق زعيقا مخيفا يثير التقزز والإحباط.

ورأى كراسي مهشمة مقلوبة وعيونا عمياء تنز بالدم على أضابير مضرجة ببراز الكهنة.

واصل طريقه إلى الماريستان لجلب الجثة بأقصى سرعة ممكنة.

إعترض طريقه قرد ملتح يبدو متشددا منقبض النفس قصير القامة له ذيل معقوف يرتدي نظارات سميكة.

سدد نظرة حادة للأحدب المصدوم

محاولا إسقاطه من عل دون سبب منطقي.بيد أن الأحدب لكزه بسرعة فائقة بسوطه فوقع أرضا

مجلجلا شاتما أصل البشر .

الطريق ملآى بالقردة.

المواخير والحانات وقصور العدالة

والسجون وساحة الحكومة.

إختفى النوع البشري وحل محله شكل زنخ من القردة التي تتقاتل طول اليوم محدثة الفوضى والإضطراب.

واصل الأحدب السير قدما ولما بلغ باب الماريستان وجد الجثة ممزقة يتقاسمها عصبة من القردة والدم يتطاير في الهواء.

وعلى غرة إنقضت القردة على الحصان المسن بينما لاذ الأحدب بالفرار.

- **بيضة الحصان**

بحركة مجنونة يقيد يديها إلى الوراء عاصبا عينيها بقطعة من القماش أسود اللون ضاربا أماكن حساسة من جسدها بكرباج موثقا نهديها بخيط متين كما لو أنهما رهينتان متحالفتان ضده ثم يقرض الحلمتين المذعورتين بأظافره لإسكات نباح جسده المتوحش هكذا يعلو ويهبط مثل قطار هارب من أشباح ليليلة رجيمة تلاحقه بضراوة وحين ينتهي من مضاجعتها يضع بيضة ذهبية مغرية تحت جذعها المتوقد.

بينما هي مجرد بيضة مغشوشة تبدو كما لو أنها ذهب خالص.

سعدت المرأة كثيرا بالبيضة الذهبية وغدت تراوده لينكل بجسدها حتى تتمكن من الحصول على بيضة من الذهب النادر.

لم تكتم زوجته الجميلة هذا الأمر الغريب. صارت تسر لجاراتها بما وقع لها أثناء مجامعتها مع بعلها.

فتقربت منه نساء كثيرات قصد الحصول على بيض ذهبي نادر ليتجاوزن وضعهن السيء للغاية.

ويقطعن مع واقعن المأزوم.

لقد ضاجع تقريبا جميع النسوة في تلك المدينة الموبوءة.

وكلما مارس الجنس بطريقة مثيرة جدا مع إحداهن وضع بيضة من الذهب المتلامع المغشوش.

ذاع صيته في تلك المدينة صار يجامع النساء ويمارس اللواط مع الرجال قصد حصولهم على الذهب ضاربين عرض الحائط بكل القيم والمواضعات الإجتماعية.

سمع الملك بأمر هذا الرجل الغريب

أمر بجلبه حالا وحكم عليه بمجامعة كل جواريه ليحصل على مزيد من الذهب رغم امتلاء قصره بسبائك الذهب الإبريز .

ثم فرض عليه ممارسة اللواط معه لتمتلأ صناديقه بالذهب ليبدو ثريا جدا أمام ملوك الأقاليم المجاورة له.

وفي أحد الأيام ترك الرجل المحتال وصية في القصر بأن البيض مغشوش وليس من الذهب في شيء .

- **حكاية الرأس المقطوعة**

الجبل مكتظة شراييه المتشعبة بالقتلة السريين. الشمس تتدلى مثل ثدي ملطخ بالدم والمساء ينظف ريشه على حافة الأرض.

رائحة الجريمة تنبعث من كل مكان. برزت كوكبة من الشياطين.

مسلحة بالفؤوس والأسلحة الخفيفة. تقدم ذئب ملتح يتطاير شرر الكراهية والسخيمة من عينيه الضيقتين

وبحركة بهلوانية خاطفة قطع رأس الراعي وأسلمها إلى أخيه واتجهوا إلى مكان غير معلوم حاملين عددا من الشياه الهزيلة كما لو أنهم أنجزوا ملحمة تاريخية مهمة.

تبخروا في أصقاع العتمة الكثيفة مثل قطيع من الذئاب الماكرة المتوحشة في انتظار فريسة أخرى .

الجثة تحولت إلى طائر ليلي لا يني يغرد بإيقاع شجي . تبدو أشجار الصنوبر مثل نساء متسربلات بالأسود يطلقن الزغاريد المبحوحة المتقطعة مرفودات بسر جواني غامض محتفيات بهذا الطائر الذي تتساقط شآبيب الضوء من قوادمه.

الجبل يمشي على عكاز من الخشب الأحمر محدودبا بينما ساقاه المعقوفتان ملطختان بدم الراعي.

حمل رأس أخيه بيدين متعثرتين

قاصدا بيته الذي يخفي بين حيطانه المتهالكة عجوزا شبه كفيفة تسامر أشباحا تتدافع في حجرتها المنذورة للسقوط.

– سأكون شهريارك الوفي الذي لا يمل من سرد القصص الغريبة لئلا يطال القلق قلعتك الخفية .

– حاول أن تضع عيني مثل لوحة تشكيلية على حائط غرفتك لأظل مستيقظا طوال الليل.أعدك لن أدع بنات آوى تقتحم غرفتك الصغيرة.

– لن أدفن رأسك إطلاقا.

– سأغسلك بدموع أمنا القديسة التي فرت عصافير عمودها الفقري من الجهد اليومي المكرور . سأحنطه وأطرد كل معز أو قبار يرتاد بيتنا. لن تذهب إلى المقبرة إطلاقا. سأخبئك في خزانتي نهارا وأخرجك ليلا لأحيطك علما بكل قاذورات هذا الوطن المليء بالمسوخ والزعانف والقتلة واللصوص.

– شكرا أخي الجميل.

كان الأخ الأصغر يلتفت يمنة ويسرة راشقا بصره في تقاطيع هذا الرأس المفصولة مشفقا من ملاحقة الذئاب القروسطية.

إصطدم بحجارة ناتئة سقط الرأس من بين يديه منزلقا نحو أسفل الوادي كما لو أنه مسكون بطاقة ميتافيزيقة ضاغطة.

أمسكه بعد لأي.

أطلق زخات من الدموع العميقة.

حمل رأس أخيه الممهورة بكدمات زرقاء.

قطع مسافة طويلة كما لو أنه متجه إلى يوم الآخرة على قدمين من الجبس.

فتح الباب على مصراعيه وصاح بملء روحه الممزقة.

أماه أسرعي لقد قطعوا رأس أخي.

نظرت بعينين شبه مغمضتين.

وانفجرت مثل نيزك إبني إبني.

زربت غمامة دموع من عيني هذا الرأس المقطوعة .

مزقت الأم ريش روحها المهوش. – – من فعل بإبني هذا؟

– ذئاب القرون الوسطى.

نظرت إلى الأعلى كما لو أنها تبحث عن جثة إبنها التي تحولت إلى طائر ليلي لا يني يغرد طل الليل فوق شجر الصفصاف .

أخذ الأخ رأس أخيه ووضعه في ثلاجة صغيرة متداعية.

إختفت الأم داخل غيمة كثيفة من الحداد الأبدي.

– سنقتص منك أيتها الذئاب القذرة .

ستبتلعك الأنفاق المعتمة.

ثم تهالك على نفسه لم يطق صبرا على فراق أخيه. فتح الثلاجة وعلى غرة سقط الرأس أرضا ثم إندفع مثل كرة من النار باتجاه الجبل باحثا عن جثته التي تصله بها ألفة أثيرة وحميمة جدا.

- **قصة لم يكتبها فرانز كافكا**

صلب أحد الرواة بسبب قصة صغيرة كان يرويها للبحارة الراغبين في نسيان أهوال المغامرة وغرائب المخلوقات التي مروا بها في عرض البحر.

عد زنديقا ومارقا فأعملوا النار في جثته وبيته. شردوا زوجته وأبناءه لأنه تعدى حدود المقدس وبال على معتقدات القبيلة البالية.

قال الراوي : ثمة ملاك نصفه رخ ونصفه الأسفل ثور. كان خادما مطيعا يعمل بستانيا في قصر الله المنيف ميالا إلى العزلة حفار أسئلة مروعة نزاعة إلى المساءلة والتجسس على أسرار الخالق.

وكانت الملائكة تهابه لأنه مسلح بمسدس كاتم للصوت وله قدم راسخة في الجريمة.

قيل إنه صوب رصاصة قاتلة باتجاه رأس البراق الذي حمل محمدا مثل طائرة نفاثة بمحرك خارق إلى صحاري السماوات السبع.

قتل البراق بسبب اختلاس شجرة معمرة مملوءة بثمار شتى من بستان الله.

وقد أعمل كبير الملائكة النار في جثة البراق ثم وقع ذر رماده في حانة أنيقة يرتادها شياطين تشبه الكناغر في قفزها الكوميدي المكرور وعدد من الشعراء الملاعين.

وظل الله حزينا متشنجا لوقع هذه الفجيعة لأن خلق البراق ليس بمهمة سهلة للغاية لقد أنفق وقتا طويلا في خلقه وتربيته وتعليمه

ليكون سلسا مطواعا جديرا بزيارة

الأرض وسحب الأنبياء إلى الأعلى بسرعة قطار ياباني حديث.

حزن الله مدة أربعين يوما وحلقت الملائكة رؤوسها المخملية

وامتنعت عن الطعام والشراب والمجامعة زهاء سبعة أيام.

بينما وقع القبض سريعا على الملاك القاتل من قبل ميليشيا مدربة على تعقب المجرمين الخطرين.

ظل الملاك قابعا في غيابات السجن شاتما العناية الإلاهية ساخرا من مؤخرات الملائكة المكتنزة.

البراق اللعين ليس إلا لصا ماكرا مخادعا شريرا سارق كنوز المخيلة

ومطاردا لنوارس اللاوعي في جزيرة الحقائق الكبرى.

كان الملاك يستمني في زنزانته قادحا زناد مخيلته لإسكات زئير شهوته المفترسة نادبا حظه السيء مستحضرا صورة زوحته الجميلة التي إغتصبها أحد مسلحي الغرفة الإلاهية وقتلها بكل برودة دم دون أن يتعرض لأذى أو محاكمة.

بينما تم اعتقاله بطريقة قروسطية

لما فتح النار على حيوان إنتهت مهمته بسبب السرقة الموصوفة.

حيوان مجنح له خمسمائة قضيب سوداوي يخطف الملائكة الصغار ويعتدي عليها بالفاحشة ودق أعناقها بحجارة من سجيل.

لم تتمكن شرطة الأنتروبول من إعتقاله والزج بي في قاع السجن.

وبدلا من الإحتفاء بي وتمجيدي لأني قتلت هذا الكائن غريب الأطوار الذي يدعي السفر إلى الأرض وحمل أحد مجانيها الكبار إلى فضائها الخارجي.

ذات مساء بعد إعدام سبعة ملائكة متهمين بالقرصنة وتبييض الأموال وتهريب الممنوعات.

مرت أفعى أمام زنزانة الملاك .

ناشدها بنبرة شاعر ملحمي سردا فضائلها وفذاذتها في حبك المؤامرات والإطاحة بأعتى الزناة.

رقصت رقصة وثنية باذة ثم أخرجت مفتاحا برونزيا من جيبها. فتحت باب الزنزانة واختفت.

فر الملاك المذعور كأحد أبطال ألف ليلة وليلة . لم يره أحد.

الله وملائكته وكل سكان المخيلة متورط في سبات عميق.

- **صانع الحياة**

حجرة قذرة مخيفة مليئة بصور مخلوقات غريبة. ملائكة تجر عربات حديدية ملآى بشواهد القبور , حيوانات برؤوس بشر , وطيور لها سيقان زرافات, وأجنحة غزيرة غريبة ,وهياكل عظمية متنوعة.

فاجأته وهو غاطس في خلوته يتفحص جمجمة من العسير جدا الوقوف على حقيقة إنتسابها لأنثى أم لذكر .

لم يتجاوز العقد الثالث طويل مثل حبل المشنقة. نحيل وأحدب كما لو أنه الكونت لوتريامون في حفلة جنائزية مريعة.

لا تيأسي يا جمجمتي الغالية. سأنفخ فيك من روحي وأعيدك إلى عالم الكون والفساد.

لن أطيق موتك وسكونك ولا شيئيتك الآهلة بصفير العدم.

أنت جديرة بوجه إلاه أبدي لا يقهر.

كان يرتدي قناع شيطان رجيم.

دفن ساقه اليمنى منذ انتحار ساعي البريد في الكاتدرائية المجاورة . صنعوا له ساقا خشبية تشبه مجذاف قارب فرعوني.

ها هو يتمتم وتحلق كلمات غامضة في الحجرة تطفر مذعورة من شفتيه المتورمتين.

ح ي ا ة . ح ي ا ة . ح ي ا ة .

ع و د ي . ب . إ ذ ن ي . ب . ق و . ة . س ح ر ي .

وضع الجمجمة في إناء نظفه بفرشاة أزال طبقة الغبار الذي يطوقه ألصق عينين نابضتين في محجريها إختلسها من جسد إمرأة حديثة الموت.

لاتنسوا أنه كان مولعا بنبش القبور وسرقة أعضاء الأموات.

لم يكن يتاجر بها بل كان يخبئها

في ورشته المعزولة في دوارق من السيراميك.

رائحة الدم والجثث والفناء تضفي على المكان ميسما تراجيديا عميقا.

وضع مكان أنفها أرنبة أنف مهرج سفسطائي. وأدخل طاقم أسنان في فمها الأدرد. راسما بالقلم الأسود حاجبين رقيقين. واعدا إياها بزرع شعر غجري آسر الأسبوع القادم.

كان ضوء المصباح خافتا جدا.

تتسلل عناكب عدمية من عينيه الغائمتين. وإيقاع أمواج متكسرة تضرب قارب هواجسه الكثيفة.

الآن إنتهى كل شيء . الآن أتممت عليك نعمتي وعما قليل ستعودين إلى الحياة. وكذا نتخلص من شأفة الموت والخراب.

الأشياء الجميلة لا يجب أن يطالها الفناء في ملتي واعتقادي .

الموت هو ذئب مخصي يعدو وراء ضحاياه منذ البدايات.

أنا صانع الحياة وباعث الموتى من الأجداث.

أنا الإلاه الذي سيسر العالم من فتوحاته الخارقة .

- **حشرة كافكا في زمن الكورونا**

إرتعدت مفاصلي بعد ركلة مروعة من حوافر الشك الجامح كما لو أنه ثور مجنح يهشم أقفال الرأس بمرونة فائقة ويصب بنزين الأسئلة في قلعة الرأس المسيجة بأليغوريات معقدة ثم يضرم النار

في برديات الروح الهادئة.

لم أسلم من عضة النهار السامة المكرورة. حيث تتناسل خفافيش بشرية قرمة مهووسة برائحة الدم وشن روائح جحيمية في الأرجاء. أنا إبن الليل الشرعي. صديق النجوم السائرة نحو تخومات المجهول أرتاد المقبرة المجاورة لبيتنا المتواضع لأمارس فن السحر في خلوة مطلقة لا تشوبها شائبة.

أتهجى شواهد القبور القديمة وأستحضر هيئات ذويها وأظل أتحاور معها مستبطنا إلماعات خواطرها ومستدقات أحاجيها ومغاليقها حد إنفراج غيمات الروح المتراكبة وإشعاع أشياء غريبة أمام باصرتي كأنها صرف اليقين الأقصى.

نمت هذه الليلة في شرخ عتمتها الباذخة بعد يوم عصيب وحرب شعواء مع الأبالسة المسلحة بأعتى ترسانة الشر والسخيمة.

لم أستسلم البتة. لم أنطو على نفسي. مثل جرذ قميء. قطعت رؤوسا كثيرة.طاردت ثعابين زنخة

موقنا أن الحرب ضرورة تحتمها أحيانا شرانية الآخر ليس لنا من خوض غمارها بد.

في آخر الليل أحسست بامتلاء في مثانتي. حاولت إفراغ هذه الشحنة البيولوجية ولكن لم أفلح. لم تكن الأمور سلسة كعادتها.حاولت أن أتحسس عضوي الذكري ولكن لم أعثر عليه حاولت الصراخ ولكن صوتي تبخر مثل غيمة في غلواء العمر. أصابني ذعر شديد وأدركت أخيرا أني تحولت إلى حشرة كريهة بيد أني لم أزل أحافظ على طاقة التفكير والتحديق في كبريات المسائل الوجودية.

حشرة قميئة شاذة تختزن داخلها عقلا ألمعيا نزاعة تفكيرا واستغوارا لبكر السبيل.

ظللت واجما والذعر يتطاير من عيني الجاحظتين.

دخلت أمي صباحا كعادتها حاملة صينية الفطور ولكن ما إن رأتني على تلك الشاكلة حتى إعتور الوهن أغصان أعصابها وسقطت الصينية من يديها المرتجفتين .

حدقت في تفاصيل وجهي المليء بالكدمات ثم سقطت مغشيا عليها.

كنت أشاهد هذا السيناريو التراجيدي مكسور الخاطر غير قادر على تجاوز هذا الشرط الكوني الضاغط.

فكرت في مساعدة أمي وإيقاظها غير أن جسدي لم يستجب لهذا الفعل الذي يستميز به البشر.

أنا مجرد حشرة مفكرة غير قادر على ترتيب الأمور والقيام بواجباتي اليومية.

وعلى غرة غشي أخي الأكبر حجرتي واستطاع أن يوقظ أمي المصدومة المتشققة.

كنت أراقب هذا المشهد الحزين بصمت عاجزا على النطق وإفراغ مكنوناتي كأن جلمودا من الصخر الصلد قد وقع على كلكلي الهش.

–قالت الأم : ماذا سنفعل بهذه الحشرة البائسة ما مصيرها وما جدواها هنا؟.

– قال الأخ الأكبر : سأسحقها بجزمتي العسكرية وهكذا نتخلص منها إلى الأبد إذ لا فائدة ترجى من وجودها ستجلب لنا العار والفضيحة . قالت الأم تريث حتى نصغي إلى رأي أبيك حيال هذه الحشرة المقززة.

تناهى إلى مسمع الأب ما دار من حديث بينهما إذ تقحم الحجرة مثل ثور هائج فهاله مشهد إبنه وقد تحول إلى حشرة مدرعة ذات سيقان غزيرة وعينين براقتين تثير الغثيان.

أطلق صرخة مدوية ما هذا الكائن الشيطاني المشوه الذي تلبس إبني؟. ماذا ارتكب حتى تعاقبه الآلهة وتنزله منزلة وضيعة خسيسة لا تليق بشرطه الإنساني.

ثم أردف قائلا : لعل لجذور هرطقته سببا منطقيا في تحوله وسقوطه في فخ الأدنى من المخلوقات.

قال الأخ الأكبر: إنه ما فتى يطالع مصنفات الملاحدة ويتشبع بمقولاتهم ومفاهيمهم وآليات تفكيرهم. إنه شديد السخرية من الكتب السماوية ساخرا من مضامينها ويعدها ضربا من الأساطير التي إجترحتها مخيلة شعرية ملتاثة. إنه لا يؤمن بالحساب ولا العقاب والخوارق .

أذكر أن له نصا شعريا يسخر فيه من سورة الإسراء والمعراج ويعد البراق أروع كائن أسطوري على الإطلاق.ومآخذه على الأنبياء

مثيرة جدا.

قالت الأم لذلك كان كثير الخلوة مستنكفا من معاشرة الآخرين معتبرا إياهم شرا محضا.

قال الأخ الأكبر : هذا لا يفيدنا في شيء.

لأدهسه مرة واحدة ونرح أعصابنا

من حرائق هذه المحنة التي وقعنا فيها.

قال الأب سنعامله مثل كائن هش جدير بالشفقة والرثاء.

ثم تسللوا خارج الغرفة صافقين الباب وراءهم.

حزنت حزنا شديدا لحدة الحوار الذي جد بين أطراف العائلة وبكيت بكاء مرا مستبطنا أسباب هذا العجز الوبيل الذي حاق بي وجعلني فريسة سهلة أمام سهام الآخرين

بمقدور كل إنسان أن يقلب لك ظهر المجن بمجرد سقوطك في شرك العجز واللافاعلية.

- **اللص الطيب.**

الولادة غربة وعبث مكرور والجسد مأدبة لديدان الفقد القرمة وفي آخر النفق يد غائمة تلوح للعابرين.

ونباح متقطع لكائنات غير مرئية.

بعد رحيل جميع العائلة لم يبق غير(م) وقرده الذي يقاسمه العيش تحت سقف واحد.

قرد مبهر له قدرة فائقة على إدراك الأمور واستيعاب الإشارات الخفية لتقاطيع وجه صاحبه بله صديقه الأثير.

(م) قطعت ساقه اليمنى في حادث مرور وضعف بصره بحكم داء السكري ولم يعد قادرا على كسب قوته اليومي.

وقد ازدادت الأمور تعقيدا بغزو جائحة الكورونا وإشاعتها لأضرب من الكوابيس والقلق الوجودي الضاغط في محيطه الخارجي.

وصار الناس يخفون المؤونة ويتقاتلون من أجل الحصول عليها

خوفا من براثن المجاعة والموت المحدق بهم من كل صوب وحدب.

غار جوهر الإنسان في تلافيف أعماقهم.

الناس لا يحبون الموت بجائحة الكورونا وكم كان لمشهد المحارق التي أقيمت للموتى أثر مروع في أنفسهم وتلوينها بميسم سريالي بحت.

لم ينسوا مشهد مطاردة الجنازة في عالمنا العربي القروسطي.

ومحاولة طرد الميت من المقبرة وحرمانه من نوم أبدي في رحم الأم الأولى الأرض التي لم تجأر يوما واحدا من قسوتنا وجشعنا وتوحشنا وحججنا الواهية.

الناس تحولوا إلى قطعان نمور وأفكارهم إلى طفيليات غثة. وأرواحهم إلى خفافيش بائسة.

العالم في مأزق فيروسي خانق.

لذلك كان (م) كلما مسه الجوع وسيطر على حواسه المتهدلة يسرع إلى القرد الذي جلبه الأب المتوفى من أحد القرى النائية.

يخاطبه بلغة الإشارة

– صديقي الغالي إني على حافة الهلاك وليس بمقدوري فعل أي شيء لطرد شبح الطوى.

طفقت العتمة تدب في أوصال المكان تخلع على العالم ثوبها الكابوسي الرهيب.

جيراني سيئون للغاية ولم يحدب أحد علي ولو بنصف رغيف.

يحدق قرده الذكي في أوراق وجهه المتساقطة مصيخا إلى نأمة روحه الجريحة وكأنه يقول

– نعم يا مولاي إطمئن سأوفر لك كل شيء.

– ألم تعاملني معاملة الأب لإبنه قبل مرضك الوبيل؟.

– لا تقلق لقد قرأت ما يتبدى من إشارات في عينيك المائلتين إلى دكنة غامقة.

–سأفعل كل ما في وسعي لإنقاذك

واستئصال شأفة ذئب الجوع المسعور.

يقفز القرد بخفة ورشاقة كما لو أنه في أدغال إفريقية يجوب أسطح البيوت ثم يباغت أصحابها على غرة فيختلس ما لذ وطاب من الطعام لصديقه (م) الذي تلقى آخر رصاصة من قناص شرير لا يرحم يسمى جوعا.

من الممكن أن تكون علاقتك أروع وأمتن مع كائنات نعدها في غالب الأحايين مهرجة وغير قابلة لاكتساب خبرات عالية وليست جديرة بصداقة الإنسان ومعاشرته

والإحساس بإيقاع هواجسه الداخلية الغامضة

- **الجريمة**

رغم انطفاء مصابيح النجوم, واستدقاق روح العتمة الشفيف, لم يزل الحصان يقطع الممر الجبلي المسيج بأشجار الكاليبتوس العملاقة يسوسه حوذي عارف له دراية جيدة بالمكان ومنحدراته اللولبية الضيقة.

الخفافيش تمرق مثل الهواجس في الهواء.

أوركسترا البوم الدوق الصغير تدوي من بعيد في جنائزية مروعة.

تبدو العربة الخشبية كما لو أنها غيمة داكنة ضائعة في الأفق.

يتحصن داخلها رجل أشيب بنظارات سميكة تبطنان عينين شبه شريرتين وأنف معقوف ولحية منسدلة على صدره.

وقامة تشبه صنوبرة في عز شبابها.

الذئاب تطلق عقيرتها المحبطة والمتقطعة باتجاه العربة .

الحوذي يلهب ظهر الحصان فيزداد عدوه ويمسي لإيقاع حوافره أثر عميق في النفس لا تنمحي معالمه.

بعد زهاء ساعتين ونيف أوقف الحوذي عربته التي مزقت سجف العتمة واستفزت سكان الجبل الليليين.

هبط الشيخ المتطبب مثل ملاك رحيم من السماء السابعة.

هرع إليه لفيف من الأناسي آملين إنفراج الكربة وزوال الشدة.

فتحوا الباب أمامه فهاله مشهد البنت الجميلة ذات العقدين وهي تتخبط مثل أفعى داستها شاحنة مجنونة موغلة في هذيانات ملغزة.

أخرج من سترة جيبه مفتاحا خشبيا قديما يبدو كما لو أنه لكنيسة قروسطية مهجورة .

وكتابا رثا أصفر اللون يشبه (كتاب الأموات)وجيء له بهراوة كما أمر لطرد الجني بالقوة إن لم يخرج من جسد البنت بسلاسة.

أمر الحاضرين بإطفاء المصابيح الكابية والسقوط دفعة واحدة في بئر الصمت ليزاول عمله في الصمت والهدوء المطلق.

والتثبت من هوية الجني الذي يسكن جسد البنت المصروعة.

بما أن العائلة يئست من مقاربات الأطباء المسطحة وتآويلهم المتضاربة وأدويتهم التي لم تؤت أكلها إطلاقا حسب رواية الأم.

بيد أن الأخ الأكبر للبنت العليلة كان كان رافضا رفضا كليا معالجتها بهذه الطقوس البدائية المتحجرة ولكن لم يلق آذانا صاغية فاكتفى مثل غيره بالمشاهدة والترقب.

أغلق الشيخ باب الحجرة وراءه.

وراح يرتل أليغوريات معقدة لا يستطيع نعومي تشومسكي تفكيك تركيبتها الدلالية ولا استغوار ظلالها الكثيفة وأسرارها الصفيقة.

ومن حين إلى آخر يحدث قرقعة كما لو أن نيزكا ضائعا سقط في الحجرة فتهتز مفاصل الأم خوفا على ابنتها من شر يحيق بها.

بينما كان الشيخ في ذروة نشاطه الجنسي. كان يداعب نهديها ويقبل فمها المفتوح ثم يرمى يده في جرحها ولما استوت رغبته المشبوبة على سوقها ارتمى فوق جسدها الهش وفعل فعلته الوضيعة غير آبه بقيم أو مبادىء.

ولم انتهى من مهمته الإيروسية أمسك هراوته بيد متصلبة وشرع في رشق البنت بضربات متلاحقة

إلى أن خارت قواها واستسلمت لإيقاع هذه الكوميديا السوداء.

لقد فارقت الحياة بينما الشيخ مفرط في عدوانيته في انتظار خروج الجني الجامح.

ساد الغرفة صمت القبور وأيقن الشيخ أنه ارتكب جريمة قتل مروعة . فتح الباب وخرج باكيا متضرعا مدعيا أن الجني قتل البنت وليس هو.

بينما أثبت تشريح البنت تعرضها لاغتصاب وتعنيف فظيعين.

- **كورونا**

إختفت النجوم وراء أكمة من الضباب الكثيف.أيقظته رقصات الفلامنكو التي يمارسها المطر على زجاج النافذة . فتح الأحدب باب بيته الخشبي الشبيه بغطاء تابوت قديم. كان يضلع مثل إوزة مسنة.

إمتطى عربته التي يجرها حصان

من القرون الوسطى واتجه نحو الماريستان لجلب جثة أحد جيرانه الذي مات بفيروس الكورونا الذي سيحصد أرواحا ثرة في بداية هذا القرن الوبيل بما أن ثمة إضرابا قام به عمال محطات بيع البنزين.

الحصان يركض مثل أرملة وراء نعش. الأحدب ذو العينين الضيقتين يكاد يسقط من العربة المتلعثمة الإيقاع.

منذ خروجه من بيته لم ير أحدا من البشر كعادته كل يوم. لم ير غير قردة بدائية تملأ الشوراع والحواري ليس ثمة سيارات ولا قطارات ولا درجات نارية.

قردة تتقاتل وتتراشق بالحجارة.

شرطى ملقى على الأرض ملطخا بالدماء. حاول أن يدحض حجج عينيه العميقتين ولكن لم يفلح.

صدمه مشهد تراجيدي جارح لما رأى كوكبة من القردة مسلحة بالعصي والهراوات تقفز من سور البرلمان وتطلق زعيقا مخيفا يثير التقزز والإحباط.

ورأى كراسي مهشمة مقلوبة وعيونا عمياء تنز بالدم على أضابير مضرجة ببراز الكهنة.

واصل طريقه إلى الماريستان لجلب الجثة بأقصى سرعة ممكنة.

إعترض طريقه قرد ملتح يبدو متشددا منقبض النفس قصير القامة له ذيل معقوف يرتدي نظارات سميكة.

سدد نظرة حادة للأحدب المصدوم

محاولا إسقاطه من عل دون سبب منطقي.بيد أن الأحدب لكزه بسرعة فائقة بسوطه فوقع أرضا

مجلجلا شاتما أصل البشر .

الطريق ملآى بالقردة.

المواخير والحانات وقصور العدالة

والسجون وساحة الحكومة.

إختفى النوع البشري وحل محله شكل زنخ من القردة التي تتقاتل طول اليوم محدثة الفوضى والإضطراب.

واصل الأحدب السير قدما ولما بلغ باب الماريستان وجد الجثة ممزقة يتقاسمها عصبة من القردة والدم يتطاير في الهواء.

وعلى غرة إنقضت القردة على الحصان المسن بينما لاذ الأحدب بالفرار.

- **القطة السوداء**

الشجرة المعمرة العمياء تتحسس بأصابعها الطويلة المغضنة المتشابكة زجاج النافذة التي تشبه نافذة مظلمة في كنيسة مهجورة.

لتوقظ(ن) كما لو أنها أم مسكونة بسحر الأمومة الأزلي.

شجرة وحيدة حزينة تقف على ساق معقوفة إختفت عصافيرها في مكان ما من هذا العالم. قد تكون الأسباب ملغزة شائكة.

هذه الشجرة شهدت جنازات كثيرة في هذا البيت المتداعي.

وقاسمت أهاليها الحلو والمر.

لم يبق الآن أحد غيره . ماتوا جميعا بوباء الكورونا بعد هجمتها الشرسة على بني الإنسان.

حتى القطة السوداء التي كانت تؤنسه آناء الليل وأطراف النهار نفقت منذ أيام يبدو أن رئتيها أصيبتا بجرثومة مستعصية لم يقف على حقيقة جوهرها جهابذة البياطرة.

جائحة تصيب القطط كل مائة سنة كما يتداول لدى كبار السن.

تشبه جائحة الكورونا.

وثمة فرضية أخرى قد تكون مساوقة للحقيقة وهي وضع مادة سامة في غذاء مغر قد أودى بحياتها من قبل أحد الجيران الذين يكنون حقدا دفينا للحيوانات المنزلية وهذا متداول لدينا وبخاصة في الأحياء الشعبية التي لا تقيم وزنا لهذه الكائنات التي لا تعترف بكثافة الجدران وتنهد أحيانا إلى اكتشاف وغزو منازل الآخرين.

كان (ن) حين يختلي بنفسه يقلد مواءها المتقطع بشكل مذهل ويناديها بعبارات لطيفة كما لو أنها لم تزل على قيد الحياة.

حبيتي تعالي ها هي سمكة لذيذة في انتظارك.سأختار لك شريكا يليق بفخامتك. بجزالة طبعك المرن وروحك المتوهجة.

سيكون قطا فحلا قادرا على تمزيق بكارتك في رمشة عين.

ستحملين بسرعة فائقة وتنجبين قططا على قدر عال من الجمال والذكاء والخفة والرشاقة.

لكن القطة لم تكن حاضرة إلا في مخياله الشاسع.

بينما كان يجلس (ن) على كرسي خشبي رث غاطسا في تأملات لم يجن من ورائها غير مزيد من الأوجاع إذ غزاه صوت نابع من قاع عميق لا ضفاف له.

قطتك لم تنجب ولو فأرا ضئيلا

برغم عهرها وميلها إلى ممارسة الجنس مع قطط شتى .

ألم تنكمش في غالب الأحايين وتتضاءل حد إستحالتها إلى قطعة من البلاستيك أو قطرات من الزئبق لتمرق من شقوق الباب المليء بالتخاريم والشقوق.

لتمنح جسدها البض لأول قط وافد من الخارج ولو كان أفظع لص في الحارة. المهم أن يتسلق مؤخرتها ويطلق رصاصاته في أستها الحارق.

وهكذا يتداول عليها الغرباء من القطط اللقيطة دون مقابل.

وبرغم هذا لم تكن تفارق البيت طويلا.تتكوم مثل كرة من قماش رديء زائغة العينين مشبعة بنعاس عارم مأخوذة بمغامراتها الجسدية المكرورة.

يرتمي (ن) صوته مثل قطعة معدن في الحجرة الضيقة.

أنت تشبهين أمي تلك المرأة البائسة وهي تتخبط تحت كلكل الثور الشهواني الأهوج زوجها الثاني الذي اختلس ما تبقى من مشمش شبابها بعد هروب بعلها الأول إلى مدينة الضباب.

حين كنت أنام تحت سريرها الكلاسيكي مثل ذكر حمام مذعور.

مصغيا إلى تساقط الآهات على رأسي الصغير وصراخ حلمتي ثدييها بين مخالبها. مصغيا إلى زلزلة السرير وعواء العضلات وصفير الشهوة المتوحش فأتحسس عضوي الذكري موقظا وطاويط كهفي السفلي منتشيا بأنين الكمنجة الغريزية التي تنبعث من مفترق جسدين يتلوان قداسا فخما في كنيسة الروح المكتظة برائحة الخبز والنبيذ. رائحة الصلصال المحترق وأزهار الأكاسيا.

لقد اكتشفت تفاصيل جسدي تحت سرير والدتي في أعماق الليل حين يحمحم جسدها في غابة اللذة المترامية الأطراف مناديا الحصان الجامح الذي يقاسمها السرير.

وفي هذه البؤرة الموحلة انطلقت مهرة عادتي السرية لتكون جزءا ضروريا حميميا في حياتي المهزوزة.

إن (ن) لا يهاب الأوبئة ولا يخاف الموت لأن علاقته بالأشياء فقدت طعمها ولونها وجوهرها.

هو مثل قطته السوداء لم يتزوج ولم ينجب بيد أن له علاقات كثيفة بنساء كثيرات ما فتئن يشبعن نوازعه الداخلية المشتعلة.

لقد تعفنت روحه وشاخ جسده وها هو ينتظر قدوم الموت على جواد بطيء الخطى.

إنه آخر حبة عنب تحتضر ببطء في عنقود العائلة المندثرة.

- **ثلاث محاولات فاشلة لملك الموت.**

بلغ قمة الجبل رغم قساوة الصخور وكثافة الأشجار وسقوط المطر بشكل متقطع وظهور بنات آوى من حين إلى آخر.

هكذا كان مسكونا بارتياد القمم الوعرة موقنا أن الله قريب جدا من الجبال الشاهقة وبمقدوره أن يتجاوز شرطه المحفوف بالنقصان والمزالق ويرى الله جالسا على كرسي من الذهب الخالص محاطا بسرب من الملائكة والقديسين.

حينئذ يمكن أن يرفع عينيه الثاقبتين إلى أعلى شريطة أن يعقل عقله بحبل دقيق جدا لئلا ينفرط الكيس المليء بالأسرار.

في هذه البرية الشاهقة مزق نعيق الغراب الأجواء المكتنزة بالصمت فارتعدت قطعان حواسه.

وبفجاءة مربكة برز ثعبان عملاق مجنح أشيب مكسو بشعر كثيف تتقطر عيناه البلوريتان شررا.

زحف بخفة ومرونة وانتحى ناحيته.كانت نواقيس قيامية تتبجس من حنجرته الشبيهة بعامود من المرمر.

قال الثعبان للراعي لا تجزع أنا ملك الموت كلفتني العناية الإلاهية بقبض روحك.

لقد حاولت مرتين سابقتين طبقا لمرسوم إلاهي قبض روحك ولكن فشلت في ذلك فشلا ذريعا.

الأولى لما إنزلقت قدماك وسقطت من الطابق الرابع وشبت معركة فظيعة بيني وبين الحكيم الذي أشرف على علاجك وقد وفق في إنقاذك وتخليصك من مخالبي.

والثانية لما غرقت في مسبح وأنقذك سباح ماهر بسرعة قياسية.

وقد وجه الله لي إنذارا بعزلي وإعادتي إلى العمل مثل بستاني في جنته الغناء.

توسلت إليه بكل ما أوتيت من قوة بأن ألتزم بتطبيق القوانين

وأكون مستيظا على مدار الليل والنهار.

وهانذا اليوم في قمة هذا الجبل العظيم في أحياز هذه العزلة الوارفة سأقبض روحك وبذلك أكون قد أنجزت شيئا عظيما وأتخلص من عقدة الذنب التي ما فتئت تلاحقني.

لقد مسخني الله ثعبانا هجينا لتقصيري في العمل والتراخي الذي يعتريني من حين إلى آخر بسبب اللهو واللامبالاة والسفسطة.

هذه فرصتي الذهبية لاستعادة جوهري المشتق من معدن الذات الكبرى .

كان الراعي يكره فكرة الموت ويعترض على إنشائها وبخاصة قبل إنجاز أشياء مهمة.

حدق في تقاطيع ذؤابة الثعبان المرعبة.

أرجوك أيها الثعبان ذرني وشأني.

إن لي زوجة وصغارا هم في مسيس الحاجة لي ولم أتم بناء الجسر الذي أشرف على إنجازه.

وبذلك يكون شرف لي ولبني جنسي شرف تجاوز القوة إلى الفعل.وإسناد المعنى لعالم اللامعقول.

ضحك الثعبان كما لو أنه أمير مسحور.

وقد سخر من فكرة البناء والفعل.

وعد هذا ضربا من قش اليوطوبيا.

ثم أطلق دويا يشبه نفير يوم الساعة.

الثعبات : ستموت الآن أيها الغبي.

الراعي : مصطفقا مثل نافذة مشرعة.

لا أرغب في الموت الآن.

أجل موتي إلى يوم آخر.

الثعبان : أتسخر مني أيها الفاني المتغطرس.

الراعي : كلا يا مولاي.

وبينما إشتعل الحوار بين الراعي والثعبان.

قدم صيادون غلاظ شداد مصوبين بنادقهم إثر خنزير وارتفعت الجلبة إلى حد لا يطاق وهبت ريح عاصف فاختفى الثعبان داخل أغوار الجبل الرمادي ونجا الصياد من قبضته المحكمة.